مجلّة

المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

عدد خاص

الإيداع القانوني: 2005—1513
ردمد 23 - 65- 1112: ISSN

المجلد 10. العدد 2. السنة العاشرة. ديسمبر 2014 (عدد خاص)

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية

مجلة لغوية علمية محكمة يصدرها المجمع الجزائري للغة العربية

مؤسس المجلة
أ.د.عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس التّحرير
أ.عثمان شبوب

اللجنة العلمية للتّحرير
أ.د. محمد صاري
أ.د.أحمد حساني أ.د. تواتي بن التواتي
أ.د. بشير إبرير أ.د. عبد الجليل مرتاض

**للاتصال بنا:
عنوان المراسلة: 6 شارع العقيد محمد بوقرة-الأبيار – الجزائر/ص.ب-402- الأبيار – الجزائر
البريد الإلكتروني للمجلة: majala.aala@gmail.com
موقع المجلة على الأنترنت: asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/410
هاتف: 90 07 23 021 213 +/ الفاكس: 81 07 23 021 213 /71 07 23 021 213 +

* المقالات التي ترد إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.
* كل باحث مسؤول عن آرائه.

محتويات العدد

1- إطلالة تاريخية على معاجم اللغة العربية

مجاور سكران.....**9**

2- الترادف اللغوي في السياق القرآني

عبد الحليم ريوقي.....**19**

3- دراسات الترجمة: بحث في المفاهيم بين التراث والمعاصرة

سعيدة كحيل.....**35**

4- تجربة تعليم الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية في أقسام التعليم الثانوي السويدي من خلال المكتبة

سفركر بنغتسن (الترجمة لـ: الطاهر لوصيف).....**55**

5- مخطوط "رحلتي لزيارة قبر الوالد" للشيخ ضيف الله بن محمد بن أُب التواتي الجزائري: دراسة في الأبعاد الاقتصادية للرحلة

أحمد جعفري.....**67**

إطلالة تاريخية على معاجم اللغة العربية

Arabic Dictionaries: A Historical View

مجاور سيد مجاور سكران
مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مصر
megawer2000@gmail.com

الملخص:
يتناول المقال قضايا أساسية تخص المعجم العربي، خاصة ما يتعلق بأهميته ونشأته، كما يعرض أنواع المعاجم العربية بصورة إجمالية وتفصيلية من حيث مبانيها ومعانيها، ومن حيث كيفية ترتيب مداخلها، كما يطرح في الختام إشكالية إلمام المعجم العربي بسائر المفردات والألفاظ العربية، وهو ما يفتح الباب للإشارة إلى المعجم التاريخي للغة العربية.

الكلمات المفتاحية: المعجم العربي، ترتيب المداخل، معاجم الألفاظ، معاجم المعاني، المعجم التاريخي.

Abstract:

The article deals with fundamental aspects pertaining to the Arabic lexicon, emphasizing its importance and origin. It provides an overview of the different types of Arabic dictionaries in terms of their composition, semantic aspects and entries organisation. In conclusion, we deal with the question of comprising all Arabic vocabulary and words, which leads us to mention the Historical Dictionary of the Arabic Language.

Keywords: Arabic lexicon, entries of the dictionary, types of dictionaries, the historical dictionary.

مقدمة:

قال اللغوي الألماني (فيشر) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب" (من مقدمة كراسة "المعجم التاريخي" التي أصدرها مجمع القاهرة).

يوجد في العالم الكثير من اللّغات التي يتحدّث بها بنو الإنسان، ومن أكثر هذه اللّغات انتشارًا بين النّاس بعد اللغة الصينية -عطفًا على عدد سكان الصين- اللّغة العربيّة، وهي إحدى اللّغات التي تندرج ضمن مجموعة اللّغات السّامية، كما أنّها أحدث اللّغات تاريخًا ونشأةً، إذ تُعدُّ اللّغة العربيّة من أسمى وأعرق اللّغات حول العالم؛ لأنّها اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ، وهو ما جعل المسلمين يهتمّون كثيرًا بهذه اللّغة وبتعلمها لمكانتها الرّفيعة لديهم. ومع اتّساع رقعة الدّولة الإسلاميّة وانتشار الإسلام واللّغة العربيّة في أرجاء العالم دخل الكثير من العجم إلى الدّول العربيّة، وبدأوا يتعلمونها لفهم الحياة وواقع المجتمع العربيّ، والأخذ عن الثّقافة والحضارة العربيّتين، وأدّى هذا التّداخل إلى وجود الكثير من المصطلحات والمفردات غير المفهومة لديهم، ومع تميُّز اللّغة العربيّة بوفرة مُفرداتها صار لزامًا وضع المعاجم اللغويّة التي تُوضِّح المعاني والألفاظ العربيّة ضمن سياقها في الكلام.

1. أهميّة المعجم في اللّغة:

للمعجم العربي فضل ودور كبيران في حفظ اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم والحفاظ على رونقها بما تتّصف به من البلاغة والإعجاز، فعندما تنفد السّبل في توضيح معاني القرآن الكريم يأتي المعجم بوصفه حلًّا مثاليًّا لهذه المعضلة.

وتتلخّص أهميّة المعجم العربي في اللّغة فيما يلي:

- المحافظة على القرآن الكريم، وضمان سهولة فهمه، مع ضمان صحة تلاوته بشكل كامل.
- دمج الألفاظ اللغويّة والمفردات مع الشّواهد والأمثلة القرآنيّة والنبويّة لضمان استمرارها عبر الزّمن.

- بناء مادّة سهلة ومُيسّرة لتعليم اللّغة العربيّة لغير العرب الذين يريدون تعلمها من الثّقافات والشّعوب الأخرى حول العالم.
- الحفاظ على اللّغة العربيّة من الفساد والضّياع.
- توضيح المعاني والمفردات والألفاظ اللغويّة الجديدة والغريبة بطريقة تُبسِّطها وتُقرّبها من العقل.
- توضيح طريقة اللّفظ والهجاء لكلّ من المفردات الواردة فيه.
- تحديد النّوع الصرفيّ للكلمة سواءٌ أكانت اسمًا أم فعلًا أم حرفًا، والتّمييز بين المذكر والمؤنث منها، ونحو ذلك من الأمور الصرفيّة.
- توضيح معنى الكلمة والإشارة إلى مجال استخدامها؛ لأنّ هنالك كلمات عديدة في اللغة تحتمل أكثر من معنى وهو ما يعرف بالتغير الدلالي، وتعدّد المعاني؛ بل أحيانًا تضادها.

2. ما هو المعجم؟

المعجم في اللغة: هو كتاب أو قاموس يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيبًا معينًا وشرحًا لهذه المفردات، أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى.

والمعجم في الاصطلاح: هو كتاب يحوي بين دفتيه شرح المفردات والألفاظ اللغوية، وتوضيح معانيها وصفاتها ودلالاتها.

3. نشأة المعاجم:

تعود نشأة المعاجم في اللّغة العربيّة إلى نزول القرآن الكريم؛ لضرورة توضيح المفردات والألفاظ اللغويّة فيه، ودخول الكثير من غير العرب في الإسلام وتحديدًا في القرن الثّاني الهجري. وقد سُمّي المعجم بهذا الاسم اشتقاقًا من الفعل (أعجم) بمعنى أزال العجمة، وهناك كثير من الناس يستبدل كلمة المعجم بالقاموس؛ فكلمة القاموس في اللّغة تعني البحر، وقد تكون صفة للمعجم ليس أكثر، وهو الأمر الذي استدعى وجوده لتفسير ما يصعب على الناس من مفردات.

4. أنواع المعاجم بصورة مجملة:

- **معاجم المعاني:** هي المعاجم التي تحتوي على موادّ لُغويّة بغض النّظر عن ترتيب ألفاظها؛ ومن أمثلتها: (مَتجر الألفاظ) لابن فارس، و(المخصّص لابن

سيده)، و(الغريب المصنّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام.

- **معاجم الألفاظ:** هي المعاجم التي تشرح وتُوضّح المعاني والألفاظ والدّلالات الخاصّة بالألفاظ اللّغوية، وتكون مُرتبةً هجائيًّا حسب الأصل الأول أو الأخير للكلمة، أو حسب الموضوعات، أو بحسب المخارج الصوتيّة العربيّة؛ ومن أمثلتها: (العين) للخليل بن أحمد الفراهيديّ، و(أساس البلاغة) للزَمخشريّ، و(المحكم) لابن سيده، و(ديوان الأدب للفارابيّ)، و(المعجم الوسيط) لمجمع اللّغة العربيّة.
- **معاجم المعرَّب والدّخيل:** هي المعاجم التي تحتوي على الألفاظ والمفردات التي أُدخِلت إلى اللّغة العربيّة من الأقوام والشّعوب الأجنبيّة مثل الرّوم والفرس وتمّ تعريبها؛ ومن أمثلتها: كتاب (التّعريفات) للجُرجانيّ، و(الكُليّات) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفويّ، و(قاموس طبيّ إنجليزي عربي) لخليل خير الله، و(المعجم العسكري الموحّد) الذي أشرفت عليه الجامعة العربيّة.
- **معاجم الأمثال:** هي المعاجم التي تحتوي على الأمثال العربيّة وشرحها وتوضيح معانيها ومقاصدها؛ ومن أمثلتها: (مجمع الأمثال) للميدانيّ، و(المستقصى) للزَمخشريّ، و(الوسيط في الأمثال) للواحديّ.
- **معاجم المفردات:** هي المعاجم التي تحتوي على المعاني الخاصّة بمُفردات القرآن الكريم والسُّنّة النبويّة؛ ومن أمثلتها: (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الأصفهانيّ، و(المعجم المفَهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقيّ.
- **معاجم المصطلحات العلميّة والفنيّة:** وهي المعاجم التي تحتوي على شرح المصطلحات الطبيّة والعلميّة والفنيّة وتوضيحها؛ ومن أمثلتها: المعاجم التي يصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بالرباط في العلوم البحتة كالطب والهندسة والجيولوجيا والفيزياء والحشرات والكمبيوتر والموسيقا ،إلخ.

5. أنواع المعاجم بصورة مفصّلة:

تعددت أنواع المعاجم العربية، وتنوعت مدارسها، واختلفت مناهجها على نحو يعزُّ على الحصر ويستعصي على الشرح، لهذا سنكتفي هنا بالإشارة إلى أهم

هذه المدارس والأنواع.

والمعاجم العربية قسمان رئيسيان هما: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني؛ فالنوع الأول يقوم ترتيب مادته على أساس الشكل أو اللفظ والنوع، والنوع الثاني يقوم على أساس المعنى بحيث تجتمع ألفاظ موضوع معين في باب بعينه:

1.5. معاجم الألفاظ: اتخذ هذا النوع عدة اتجاهات في مدارس على النحو التالي:

أ. مدرسة الترتيب المخرجي (أو التقليبات): لعل من المناسب هنا الإشارة إلى المقصود بالترتيب المخرجي؛ فهو الترتيب الذي ارتضاه اللغويون لمخارج الحروف، وتمثله الأبيات التالية:

عن حزن هجر خريدة غناجة *** قلبي كواه جوًى شديد ضرار
صحبي سيبتدئون زجري طلبا *** دهشتي تطلّب ظالم ذي ثار
رغمًا لذي نصحي فؤادي بالهوى *** متلهّب وذوي الملام يماري

وهي طريقة تبين بوضوح مثالًا من أمثلة العبقرية الإسلامية؛ فقد أراد الخليل حصر أبنية اللغة العربية من مستعمل ومهمل بطريقة منطقية رياضية؛ إذ رأى أن الكلمات العربية قد تكون ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وفي كل حال يمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه، وبتقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يمكن الحصول على معجم يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية؛ ففي أول كتاب له وهو الخاص بحرف العين استوعب فيه جميع الكلمات التي تحوي حرف العين سواء في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها... فسبحان من خلق هذه العقول!

ومن أشهر معاجم هذه المدرسة: (معجم العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي وهو أول معجم عربي، وللدكتور عبد الله درويش تحقيق للجزء الأول منه، وطبع كاملًا بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، و(تهذيب اللغة) للأزهري، وطبعته الهيئة المصرية العامّة للكتاب أو لجنة التأليف والنشر والترجمة بتحقيق أستاذي وشيخي عبد السلام هارون.

ب. مدرسة الترتيب الهجائي العادي: وقد أخذت صورتين:

- **الصورة الأولى:** ترتيب الكلمات وفق حرفها الأخير (مدرسة القافية): تعتمد هذه الطريقة على آخر حرف في جذر الكلمة؛ فمثلًا كلمة (مدرسة)

عند الكشف عنها نأتي بجذرها (د ر س) ونبحث عنها في باب السين فصل الدال. وأعلاها وأشهرها (لسان العرب) لابن منظور وأفضل طبعاته طبعة بولاق. وأوسعها (تاج العروس) بشرح القاموس للمرتضى الزبيدي ومن ميزاته اعتناؤه بضبط الأعلام والأماكن، وكان العلامة أستاذي محمود الطناحي ينبه على ذلك كثيرًا وأفضل طبعاته طبعة الكويت، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي وأفضل طبعاته طبعة مؤسسة الرسالة كما قال العلامة الطناحي، و(تاج اللغة) و(صحاح العربية) للجوهري الذي عني بضبط الألفاظ المشكلة كتابة عناية كبيرة، وقد عظم اعتناء العلماء به؛ فمن مختصر له (كالمختار للرازي) ومن مكمل ومستدرك (كرضي الدين الصاغاني وابن بري) في "التكملة" و"التنبيه والإيضاح" المشهور بحواشي ابن بري، وطبعتهما هيئة الكتاب المصري.

- **الصورة الثانية:** ترتيب الكلمات وفق حرفها الأول (الترتيب الهجائي العادي): تعتمد هذه الطريقة على الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث بعد الإتيان بجذر الكلمة؛ فكلمة (مدرسة) يتم الكشف عنها هنا في باب الدال فالراء فالسين، وهكذا. وأهمها قديمًا (المصباح المنير) للفيومي و(أساس البلاغة) للزمخشري؛ والأول مفيد جدًّا لممارسي الفقه الإسلامي مع اعتناء شديد بضبط البنيات والحركات، وخاتمته مختصر مفيد جدًّا في علم الصرف، وربما يكون أفضل طبعاته طبعة دار المعارف، والثاني مفيد لمن يريد أن يقف على مواطن الحسن في لغته الجميلة، ولمن يريد أن يربي ملكته الأدبية وهو نصيحة إمام البيان العربي الرافعي، وأفضل طبعاته طبعة دار الكتب المصرية ومصوراتها، وهناك معاجم أخرى منها (الجيم للشيباني)، و(جمهرة اللغة) لابن دريد، و(المقاييس) و(المجمل) لابن فارس، وهناك معاجم معاصرة أهمها معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (المعجم الوجيز)، و(المعجم الوسيط)، و(المعجم الكبير) ولم يتم حتى الآن وقد صدر منه أربعة عشر جزءًا تتضمّن الحروف من الهمزة حتى الشين.

ومن الجدير بالذكر إقدام بعض الباحثين على محاولة جريئة تمثَّلت في إصدار معجم لغوي عربي يعتمد على الكلمات المفردة بحسب ترتيب حروف الكلمة دون النظر لجذرها، بمعنى أن (استخرج) يتم الكشف عنها في باب الألف فالسين فالتاء، ولكن هذه المغامرة لم يكتب لها النجاح.

ج. **مدرسة الترتيب بحسب الأبنية:** تعتمد هذه الطريقة على صورة اللفظ وتصنيفه صرفيًّا، ومن أمثلتها:

- معاجم أبنية الأسماء والأفعال: منها (ديوان الأدب للفارابي)، وقد حققه الدكتور العالم الفاضل أحمد مختار عمر، ونشره مجمع اللغة العربية.
- معاجم أبنية الأفعال: منها (الأفعال) للسرقسطي، وقد حققه الدكتور حسين شرف، ونشره مجمع اللغة العربية.
- أبنية المصادر: ومنها (تاج المصادر) لأبي جعفر البيهقي المتوفى سنة 544هـ، وفي كتب الطبقات والفهارس عدد من أسامي هذه المصنفات.

وأنا أرى أن غير المتخصص يكفيه مختار الصحاح أو المعجم الوجيز، مع أساس البلاغة، وإن ضم المصباح المنير والمعجم الوسيط فذلك خير، وإن أراد مرجعًا فلسان العرب، والله أعلم.

2.5. معاجم المعاني:

وقد بدأت معاجم المعاني برسائل مفردة ألفها الأئمة المتقدمون؛ ككتب الإبل والخيل والحيوان والنبات للنضر بن شميل (ت. 203هـ)، والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم، وإلى جانبها ظهرت كتب تجمع أكثر من موضوع ككتب الصفات وكتب الغريب؛ حيث ألف في الأول النضر بن شميل وفي الثاني ابن سلام.. ثم جاءت مصنفات اختصت تمامًا بالمعاني أو كادت؛ منها: (المخصص) لابن سيده الأندلسي وهو أوسعها على الإطلاق، و(الألفاظ) لابن السكيت، و(فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي، وأنا أنصح به فترتيبه رائق، وقد حظي بطبعات عديدة من قبل عدد من المحققين.

ومنها ما اهتم بالألفاظ الكتابية والتراكيب الأدبية؛ ومن أفضلها في نظري (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر وقد حققه العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله، وهناك كتاب (الألفاظ الكتابية) للهمذاني وهو غير بديع الزمان

صاحب المقامات، ويروي الصفدي أن الصاحب بن عباد قال لما اطلع عليه: "لو أدركته لأمرت بقطع يده ولسانه!" فسئل عن السبب فقال: "جمع شذور العربية الجزلة المعروفة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان الكتاب، ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ والمطالعة الكثيرة الدائمة"!! ولا شك أنها مبالغة، لكن يكفينا دلالتها على عظم قدر الكتاب، وضرورة إفادتنا منه.

ومن معاجم المعاني معاجم غريب القرآن والحديث: فأما في غريب القرآن فنجد (غريب القرآن) لابن قتيبة الذي رتبه على ترتيب السور القرآنية، و(المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني الذي رتبه على حروف المعجم. وأما غريب الحديث فألف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل وقطرب والأصمعي وأبو زيد الأنصاري، وكانت كتبًا صغيرة لا تعرف الترتيب، بيد أن كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام قد فاقها حجمًا وتنظيمًا، ثم ألف ابن قتيبة (غريب الحديث والأثر) وقد حققه الجبوري ونشر ببغداد سنة 1977، ثم الهروي (الغريبين) وحقق الجزء الأول منه العلامة الطناحي ونشر بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وللخطابي (غريب الحديث) وقد حققه أستاذي وشيخي عبدالكريم العزباوي ونشر بجامعة أم القرى، ولابن إسحاق الحربي (غريب الحديث) حقق بجامعة أم القرى كذلك، ولابن الجوزي كتاب في غريب الحديث نهج فيه نهج الهروي، وهناك كتاب للزمخشري (الفائق في غريب الحديث والأثر)، ثم جمع ذلك كله وزاد عليه وفاقهم جميعًا الإمام أبو السعادات المبارك ابن الأثير في كتابه العظيم (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وأفضل طبعاته التي بتحقيق العلامة الطناحي.

الخاتمة:

تبقى مشكلة واحدة تواجه المعاجم العربيّة ألا وهي أن تكون مُلمة بجميع المفردات والألفاظ العربيّة؛ لأنّ أغلب المعاجم الموجودة حاليًّا لا يحتوي على كلّ الألفاظ والمفردات نظرًا لاعتماده على جهد أفراد فقط، وفي ظلّ ما تُواجهه اللّغة العربيّة من تحدّيات كبيرة في زمن السّرعة والعولمة وانتشار الإنجليزيّة في كل مكان حتّى التّعليم يجب تكثيف الجهود للمحافظة عليها بشكل أكبر، والعمل على إنتاج معاجم عربيّة تعمل على تطوير اللّغة العربيّة والمحافظة عليها.

ولعل هذا الأمر هو ما دفع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية إلى تبنّي إصدار المعجم التاريخي للغة العربية، ذلك الأمل الذي ظلَّ يراود الأمة العربية كلها، وقد أعانه على هذا تحمّل الشيخ الدكتور سلطان القاسمي عضو المجلس الأعلى لحكام الإمارات العربية المتحدة حاكم الشارقة تكاليف هذا العمل القومي الضخم، وقد ظهرت تباشير هذا الأمل بإصدار عددٍ من الأجزاء التجريبية، إلى جانب ظهور موقع المعجم الذي يتضمن الحروف من الهمزة حتى الحاء. وأدعو كل الباحثين والمهتمين بزيارة موقع هذا المعجم الذي يمثّل حلم كل ناطق ومستخدم للغة العربية. https://www.almojam.org.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الترادف اللغوي في السياق القرآني

Synonymy in Quranic Context

عبد الحليم ريوقي
جامعة البليدة2
eladabiya@hotmail.fr

الملخص:
تعتبر اللغة العربية أغنى اللغات من حيث الألفاظ، هذه الألفاظ نظر إليها العلماء والدارسون من ثلاث زوايا: أولا: لكل لفظ معنى فكل معنى له لفظ جدير به أو كما يسميه البعض "المختص"، ثانيا: تختلف الألفاظ والمعنى واحد أو متقارب وهو ما يعرف بالترادف اللغوي، ثالثا: لفظ له عدة معان خاصة المعنى وضده أو ما يعرف بالمشترك اللفظي، وأكثر قضية تناولها العلماء مما سبق الترادف اللغوي فأنكره قوم وأيده قوم آخرون، وفي بحثنا نتناول قضية الترادف اللغوي في السياق القرآني علنا نجد طريقا بين التأييد والرفض لهذه القضية.

الكلمات المفتاحية: ترادف لغوي، تقارب دلالي، القرآن الكريم.

Abstract:

The Arabic language is one of the richest languages in terms of vocabulary. Scholars and researchers have examined this vocabulary from three angles : Firstly, each word has its own meaning, and every meaning has its own word or what some call a "specialized word". Secondly, words differ and the meaning can be the same or slightly different, this is known as linguistic synonymy. Thirdly, a word may have multiple meanings, particularly the meaning and its opposite, known as lexical commonality. The issue that scholars have extensively addressed is linguistic synonymy: a group of them rejecting it and the other supporting it. In our research, we deal with the issue of linguistic synonymy in the context of the Holy Quran, seeking a balanced approach between the two groups.

Keywords: Linguistic synonymy, semantic proximity, the Holy Quran.

1. الترادف اللغوي بين التأييد والرفض:

ورد في كتاب سيبويه قوله: "اعلم أن كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين [المختص]، واختلاف اللفظين والمعنى واحد[الترادف]، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين [المشترك اللفظي]"[1]، والترادف اللغوي أنكره بعض العلماء وأيده آخرون[2]، وأشار ابن جني إلى الترادف اللغوي باسم تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني[3]، وابن فارس يثبت الترادف اللغوي بين الألفاظ فيقول:" لو كان لكل لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن نعبر عن الشيء بغير عبارته، وذلك لأننا نقول في لا ريب فيه: لا شك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة خطأ"[4]، غير أن هذا يمكن أن يدخل في باب التفسير القائم على تقريب المفهوم الغامض بمفهوم مرادف له معروف لكن لكلٍّ له دلالته؛ فالدلالة العامة مشتركة والدلالة الخاصة متقاربة بينهما، وأما أبو هلال العسكري فيرى أن هناك فروقا دلالية بين الألفاظ المترادفة؛ فكل لفظ يستعمل في ما يخصه من معنى[5]، وهو ما نجده في كتب فقه اللغة خاصة عند أبي منصور الثعالبي حين يفرق بين دلالات ألفاظ في أكثر من موطن، يقول مثلا: " لا يقال للبخيل شحيح إلا إذا كان مع بخله حريصا[...] ولا يقال للإسراع في السير إهطاع إلا إذا كان معه خوف"[6]؛ وهنا البخل ليس هو الشح إذ يزيد عليه بالحرص، والمسرع بالخوف هو مهطع وليس مسرعا.

يذهب الكثير من الدارسين الغربيين إلى أنه لا ترادف في أي لغة. يقول هاريس Harris إن في إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف، فالاختلاف الصوتي لا بد أن يصحبه اختلاف في المعنى، فالكلمات التالية: Swift، Speedy، Rapid، Fast، Quick تختلف كل واحدة منها عن الأخرى في الوظيفة والمجال[7]، وبيانها كالتالي: Swift : رشيق أو خفيف الحركة، Speedy: سريع، Rapid: سرعة مياه النهر، Fast: سرعة في العمل، Quick: سرعة في الحركة، فكل كلمة لها دلالاتها الخاصة.

2. الترادف اللغوي في القرآن الكريم:

النص القرآني يختلف عن النصوص الأخرى. يقول ابن الأثير:"فإن رأيت شيئا منه [أي من القرآن] تكرّر من حيث الظّاهر، فأنعم نظرك فيه، فانظر على سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه"[8]، ولا يمكن بأي حال من الأحوال القول بأن الألفاظ المكررة في النصوص القرآنية لها دلالات التوكيد، يقول الدكتور صبحي

إبراهيم: "والتكرار يدور بين أمرين عفوي أو تلقائي والنظرة الدقيقة تقول غير ذلك، فالتكرار نراه في الشعر العربي كما نراه في القرآن، ولا نحسب أن القرآن الكريم تكرر فيه ما تكرر بشكل عفوي، بل مقصود لدلالات معينة فالقرآن من لدن حكيم خبير، وبلسان عربي مبين"[9]، كما أن العلماء المتقدمين نظروا لتفسير النصوص القرآنية بالاعتماد على ثلاثة مستويات: أولا الاعتماد على السياق[10]، ثانيا الاعتماد على علوم اللغة العربية: الترادف، والاشتقاق، والتصغير، والمفرد والجمع، والأوزان الصرفية...[11]، ثالثا باستخدام الشواهد الشعرية ومما سارت عليه العرب أو بما أثر عن السلف[12]، فالترادف اللغوي كان معيارا من معايير التفسير والتأويل عند العلماء الأصوليين، وسنتبين من الشواهد اللاحقة أن التكرير للمترادفات يدخل في باب أن لكل لفظ دلالاته الخاصة، حتى وإن بدت أن لها دلالات عامة واحدة، وهذا الورود للمترادفات في السياقات اللغوية القرآنية تخدم الدلالة الكلية للنص وفق التكامل بين الدلالة الخاصة والدلالة العامة لكل مترادف لغوي.

هذا التكرار على جهة إيراد ألفاظ لها الدلالة نفسها بتكرار المضمون، أو بتكرار مفردتين متواليتين أو أكثر في جملة أو فقرة أو نص يسميه الدكتور محمد العبد التوكيد اللفظي أو الترادف اللغوي[13]، لأن إيراد ألفاظ لها نفس الدلالة من باب تكرار المضمون.

الشاهد الأول قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾[14]، ففعل الأمر ارجعوا تضمن المعنى الدلالي العودة للخلف، ومع ذلك أردف بلفظ "وراءكم" قال الفارسي: "(وَرَاءَكُمْ) في موضع فعل الأمر أي تأخروا والمعنى ارجعوا تأخروا، فهو تأكيد وليس ظرفا لأن الظروف لا يؤكد بها"[15]، قد يكون المحل محل تأكيد ولكن الأحسن من هذا أن الفعل رجع في اللغة يعني الانصراف أو الرد أو العودة بما يتلاءم مع السياق[16]، ومن ثم فدلالة ارجعوا تعني الانصراف وهذا الانصراف لا يعني مطلقا العودة إلى الوراء، فالانصراف قد يكون يمينا أو شمالا أو إلى الوراء ومن ثم كان اللفظ وراءكم تحديدا لحصر المعنى الدلالي للفظ ارجعوا إلى الوراء فألفاظ كثيرة تشترك دلاليا في المعنى ليس بالمعنى العام، فإن ترادفت حصل المعنى المقصود.

يتجلى هذا أيضا في قول الله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾[17]، فلفظ الكل ولفظ جميعا يشتركان في المعنى الدلالي ومع ذلك أردف اللفظ بأخيه، "قال

الزمخشري:" كل: للإحاطة، وأجمعون: للاجتماع، فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات"[18]، فلفظ كل يعني الإحاطة من غير تخلف أي واحد، ولفظ جميعا يعني سجود الكل في وقت واحد. قال الله تعالى ﴿كَذَّبُواْ بِأَيَٰتِنَا كُلِّهَا﴾[19] وقال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[20]؛ فلفظ " كلها" في الآيتين يدل على الإحاطة والشمولية. وقال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾[21] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾[22]؛ فلفظ "جميعا" يدل على الإحاطة والشمولية ولكن في وقت واحد وليس في أوقات متفرقة.

وإذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾[23] والقصد المبالغة أي عذاب مضاعف، وبالعطف كقوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[24 - 25]؛ فبثي وحزني تشتركان في الدلالة العامة وهي الغم والهم، لكن البث هو الحزن والهم الشديد الحاضر الظاهر مع المرض الشديد، وهو حزن وهم تفضي به إلى صاحبك[26] عكس الحزن الذي يكون هما وغما على أمر انقضى وفات[27]، ولهذا ذكرت الكلمتان مع بعضهما تفريقا للدلالة فيهما وللسياق، فالقول السابق على لسان يعقوب عليه السلام، وقال قوله عندما أخبر ان ابنه بنيامين قد أخذه عزيز مصر فقال بثي وحزني أي حزنه على يوسف وبثه على بنيامين، يقول ف.ه، جورج F.H. George: إذا كانت كلمتان مترادفتين من جميع النواحي، ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معا[28]، المقصود هنا وجود بالاستعمال ووجود بالتتابع، وهو ما لاحظناه في ألفاظ الكل والجميع، والبث والحزن...، يرى أولمان ستيفن بأن هناك فروقا معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منهما مناسبا ملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد[29].

يقول مؤلفا كتاب Foundations of Linguistics: يقول اللغويون المحدثون أنه لا يوجد مترادف كامل في اللغة، فإذا اختلف اللفظان صوتيا فلا بد أن يختلفا دلاليا، فاللفظان: Buy و Purchase متقاربان دلاليا ولكنهما ليسا متطابقين، ولذا لا يمكن تبادلهما بصورة كاملة[30]، فاللفظ Buy يعني شراء، ولفظ Purchase يعني شراء شيء

مشترى، فكل لفظ له استعماله ودلالته الخاصة حتى وإن اشترك مع ألفاظ أخرى في الدلالة العامة.

وكمثال آخر وتأكيدا لما سبق نورد قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾[31]، فالعفو هو الصفح غير أن لكل منهما دلالة[32]، فالعفو والصفح لفظان يشتركان في الدلالة العامة وهو ترك العقاب، ولكن العفو يكون في ترك العقوبة لمن يستحقها وفيها حد، والصفح يكون في ترك العقاب في أمر لا عقوبة فيه أو ذنب لا حد فيه[33]، ومن ثم كان على المسلمين العفو والصفح عمن ظلمهم بأمور فيها ذنب وحدّ، أو أمر لا حد فيه، فكل لفظ يخدم دلالة معينة، والدلالة الكلية في الجمع بينهما، ويتضح هذا من خلال السياق الذي وضع فيه اللفظان، قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[34]، فالعفو والصفح عمن أرادوا أن يردوا المسلمين كفارا من بعد إيمانهم، والأكيد أنهم استعملوا وسائل عدة من قتل وتعذيب ونهب وتجويع وتخويف...، وهي أمور تتباين بين الحد فيها واضح، وأخرى لا حد فيها، وهو ما يتفق مع دلالتي اللفظتين والسياق، وهذا القول يتجلى أيضا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[35].

ومن باب الربط نذكر أمرا آخر، وهو اختلاف الحركات الذي قد يؤدي إلى اللبس بين دلالة الألفاظ وتكريرها في القرآن، نستجلي هذا من قوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾[36]، وقال في موضع آخر: ﴿وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾[37]، فالملاحظ أن الوصف نفسه ولكن لفظ الحزن ورد مضموم الحاء في الأول ومفتوح الحاء في الثاني فقد يلتبس الأمر ويقال بأن التكرار هنا لدلالة معينة وفق هذا الضم والفتح، والتبرير أن اللفظ واحد والدلالة واحدة، قال أبو عمرو: "إذا جاء الحَزَن منصوباً فتَحوه، وإذا جاء مرفوعاً أو مكسوراً ضموا الحاء"[38].

قال الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ

ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[39]؛ فيلاحظ أن البأساء والضراء وحين البأس بمعنى واحد، غير أن البأساء متعلقة بالمشقة في العيش وغيره، والضراء هي نقص في الأموال والأبدان بمرض أو غيره، وحين البأس متعلقة بالشدائد عموما: العذاب، الحرب، والآفات..." قال الليث: البَأْساءُ اسم الحرب والمشقة والضرب، والبَأْسُ: العذاب، والبأْسُ: الشدة في الحرب،[...] قال الزجاج: البأس: الجوع، الضراء في الأموال والأنفس"[40]، فإذن لكل لفظ دلالته، فالألفاظ تشترك في الدلالة العامة وتختلف في الدلالة الخاصة فيستعمل كل لفظ للسياق المعين خدمة للدلالة ولتوضيح المعنى وإبراز الصورة الحقيقية بما يكتنفه اللفظ من دلالة خاصة، ويرى الدكتور محمد المبارك أن أهم سبب لوجود مثل هذا الترادف في اللغات جميعاً يتعلق بطبيعة النظر إلى المدلول، فقد يبدو أن للشيء وجوهاً وصفات كثيرة، ويمكن أن يشتق له من الألفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات، من ذلك تسمية الدار منزلاً ومسكناً وبيتاً نسبة إلى الاستدارة والنزول، والسكن، والمبيت[41]. وتظهر دلالة أخرى وهي أن القرآن حفل بترادف الألفاظ المشتركة في الدلالة العامة أو المركزية، المختلفة في الدلالة الخاصة أو الهامشية لتحديد المعنى بدقة بما تفيد كل دلالة من الدلالات المتضمنة في كل لفظ، وأمر آخر وهو أن الجاهل بسنن العرب وفقه لغتها قد يتوهم أن ألفاظا مختلفة لها نفس الدلالة مكررة بالترادف المباشر، والأمر غير ذلك، يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو أخص به وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى مأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب وبالقبول أخلق وكان السمع له أوعى والنفس إليه أميل"[42]، فكل دلالة لها لفظها يكتنفها من غير خلل ولا نقصان، ولهذا ورد في النص القرآني بعض الألفاظ متتالية مترادفة، ولكل لفظ دلالته، وفق سياق المقام.

وكفصل للخصام بين مؤيدي الترادف ومعارضيه قسم الدكتور أحمد مختار عمر الترادف إلى قسمين، الأول لترادف الألفاظ والثاني للجمل، فما كان في ترادف الجمل فهو إما: ترادف الاستلزام أو التعبير المماثل أو الترجمة أو التفسير[43]، وما كان في ترادف الألفاظ، فهو:

- **ترادف كامل**: وذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة ولا يشعر أبناء اللغة الواحدة بالفروق بينهما.

- **شبه ترادف**: وذلك حين يتقارب اللفظان تقاربا شديدا يصعب معه - بالنسبة لغير المتخصصين- التفريق بينهما.
- **تقارب دلالي**: ويتحقق ذلك حين تتقارب المعاني والألفاظ تشترك في المعنى العام وكل لفظ له معناه الخاص، كلفظتي الحلم والرؤيا وهما من الكلمات القرآنية، وكمثال من اللغة الإنجليزية: Crawl، Skip، Hop، Run، Walk؛ فهي كلمات تشترك في المعنى العام وهو الحركة ولكن كل لفظ متعلق بكائن حي وعدد الأرجل وطريقة الحركة[44]، وبالنسبة للفظ الحلم والرؤيا فقد ورد معهما لفظ آخر في السياقات القرآنية وهو المنام، والمنام يقترب دلاليا من لفظي الحلم والرؤيا، وأما ما ورد في دلالات الألفاظ باللغة الإنجليزية: Crawl: دبيب، Skip: القفز والوثب، Hop: يتحرك بسرعة، Run: يعدو ويركض، Walk: يمشي، فكل لفظ له مقامه ودلالاته.

وأما الدكتور إبراهيم أنيس فيشترط شروطا لتحقيق الترادف، وهي:

- **اتحاد العصر**: فمرور الزمن يخلق فروقا لغوية بين الألفاظ (نتحفظ على قول الدكتور إبراهيم أنيس فمثلما يصنع الزمن فروقا لغوية، يصنع اتحادا دلاليا بضياع دلالات وبقاء دلالة واحدة تتفق فيها الألفاظ كألفاظ: كل/ جميع، العفو/ الصفح، البث/ الحزن...، فالأكيد أن لكل لفظ دلالة يستعمل وفقها، لكن بضياعها يظن الجميع أنها مترادفة، أو ضياع دلالات أخرى للفظ الواحد من باب الاشتراك اللفظي وبقاء دلالة واحدة مثل لفظ ضحك، الثوب، البر والبحر...، وهنا تصبح الدلالة واحدة بعد ضياع كل الدلالات، وتبقى مرادفة للدلالات الأخرى).
- **اتحاد البيئة اللغوية**: فلا يصح التماس الترادف من لهجات عربية مختلفة.
- **اتفاق في المعنى بين الكلمتين:** اتفاقا تاما على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد اللغة الواحدة، وليس الحكم في ذلك عند أهل الاختصاص (نتحفظ هنا أيضا على كون دلالات الألفاظ هي عند أهل الاختصاص وليس عند العامة).
- **اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين:** بحيث لا تكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى، فليس من الترادف أز وهز، كمح وكبح، ومن أمثلة الترادف التي حققت الشروط السابقة: آثر وفضل، حضر وجاء، بعث وأرسل:

- آثر وفضل في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[45]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[46].
- حضر وجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[47]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[48].
- بعث وأرسل في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[49]، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[50-51].

هذا إذا اعتبرنا أن: حضر ترادف جاء، وبعث ترادف أرسل، وآثر ترادف فضل. لكن حضر لا ترادف لفظ جاء إذ بينهما عدة فروق أهمها: حضر بمعنى قرب الشيء[52]، وجاء بمعنى حل أو تحقق[53] وهو ما نستوضحه من السياقات القرآنية السابقة، فحضر في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾، بمعنى توبة الإنسان الذي أحس بالموت أو اقترب منه، وجاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ بمعنى حل وتحقق الموت، ويؤكد هذا ما ورد في السياق وَهُوَ قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾، وكذلك نجد فروقا دلالية بين بعث وأرسل، وبين آثر وفضل، وعليه لا يمكن القول أن هذا ترادفا لغويا في السياق القرآني، فكل لفظ في السياق القرآني له دلالاته، ولا يمكن القول أن ما ورد في السياق القرآني ترادفا لغويا أو تكرارا، يقول القاضي أبو بكر الباقلاني: "لقد علمنا أن الله تحدّى المعارضين بالسور كلها ولم يخصّ، فعُلم أن جميع ذلك معجز، وذلك لأن الكلمات المكرّرة لفظًا هي ذات معان جديدة بعد تكرارها"[54]، والقرآن نزل بلغة العرب عامة، وبلغة قريش خاصة، وبما أننا أثبتنا أن لكل لفظ دلالته في السياق القرآني، وعليه فإن الترادف اللغوي غير موجود لا في السياق القرآني ولا في اللغة العربية، ويمكن القول أن هناك ألفاظ تشترك في الدلالة العامة غير أن لكل لفظ دلالته الخاصة.

الإحالات والهوامش:

[1] ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180ه)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، مصر، ط1، 1966، ج1، ص 102. وكذلك ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 286 ه)، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تح: عبد العزيز الميمني، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1350، ص 47.

[2] ينظر: جون لاينز، علم الدلالة السلوكي، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، منشورات كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1980، ص 22. وكذلك: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395ه)، الفروق اللغوية، تح: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص 10. وكذلك: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911ه)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل وعلي البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، د.ت، ج1، ص 402.

[3] ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 ه)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ج2، ص 118.

[4] ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت395 ه)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص 97. وينظر: السيوطي، المزهر، ج1، ص 404.

[5] ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ص 13-15.

[6] أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، شر: ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 32.

[7] B. Mates, Synonmity in Semantics and Philosophy of Language. Ed. L. Luis key. USA. 1952. Pp. 6-7

نقلا عن أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982، ص 24.

[8] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم (ت637ه)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، ط1، 1939، ج3، ص 27.

[9] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على السور المكية-، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ج2، ص 22.

[10] ينظر: عيسى شحاتة عيسى علي، العربية والنص القرآني، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 409.

[11] المرجع نفسه، ص ص 411-415.

[12] المرجع نفسه، ص 410.

[13] ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، القاهرة، مصر، 2002، ص 192.

[14] سورة الحديد، الآية 13.

[15] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794 ه)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، د.ت، ج3، ص 33.

[16] ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت 711ه)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مادة رجع.

[17] سورة الحجر، الآية 30. وكذلك: سورة ص، الآية 73.

[18] الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج4، ص 107.

[19] سورة القمر، الآية 42.

[20] سورة البقرة، الآية 31.

[21] سورة البقرة، الآية 38.

[22] سورة النساء، الآية 71.

[23] سورة سبأ، الآية 5.

[24] سورة يوسف، الآية 86.

[25] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 34.

[26] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بثث.

[27] المرجع نفسه، مادة حزن.

[28] J.D.Fodor, Semantics. Theories of Meaning in Generative Grammar, England. 1957. p. 110.

نقلا عن: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 225.

[29] ينظر: أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، ط12، 2004، ص 98.

[30] F.C. Southworth and C. J. Daswani, Fondations of Linguistics, New York, Usa, 1977, p. 181.

نقلا عن: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 225

[31] سورة البقرة، الآية 109.

[32] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 34.

[33] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عفا ومادة صفح.

[34] سورة البقرة، الآية 109.

[35] سورة التغابن، الآية 14.

[36] سورة يوسف، الآية 84.

[37] سورة التوبة، الآية 92.

[38] ابن منظور، لسان العرب، مادة حزن.

[39] سورة البقرة، الآية 177.

[40] ابن منظور، لسان العرب، مادة بأس.

[41] ينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط7، 1981، ص 200.

[42] عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية في الإعجاز، (الرسالة الثانية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح: سلام خلف الله، دار المعارف المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1968، ص117.

[43] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص221-223.

[44] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 220-221.

[45] سورة يوسف، الآية 91.

[46] سورة البقرة، الآية 47.

[47] سورة النساء، الآية 18.

[48] سورة الأنعام، الآية 61.

[49] سورة آل عمران، الآية 164.

[50] سورة المؤمنون، الآية 32.

[51] ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1973، ص 178، وما بعدها.

[52] ابن منظور، لسان العرب، مادة حضر.

[53] مجموعة من الأساتذة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط3، 1998، مادة جاء.

[54] أبو بكر الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم (ت 402 ه)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971، ص 152.

قائمة المصادروالمراجع:

1- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1973.

2- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم (ت637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1939.

3- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006.

4- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت 395 هـ)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.

5- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.

6- أبو بكر الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم (ت 402 هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1971.

7- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، شرحه وعلق عليه: ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999.

8- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998.

9- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1982.

10- أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية عشرة، 2004.

11- جون لاينز، علم الدلالة السلوكي، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، منشورات كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1980.
12- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794 ه)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، دون تاريخ.
13- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997.
14- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180ه)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1966.
15- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت911ه)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، دون تاريخ.
16- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على السور المكية-، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2000.
17- عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية في الإعجاز (الرسالة الثانية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: سلام خلف الله، دار المعارف المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1968.
18- عيسى شحاتة عيسى علي، العربية والنص القرآني، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2001.
19- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 286 ه)، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، 1350.
20- مجموعة من الأساتذة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 1998.

21- محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، القاهرة، مصر، 2002.

22- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 1981.

23- Fodor, J. D. Semantics. Theories of Meaning in Generative Grammar, England, 1957.

24- Mates, B. Synonymity in Semantics and Philosophy of Language, Ed. L. Luis key, USA, 1952.

25- Southworth, F.C. and C. J. Daswani, Foundations of Linguistics, New York, USA, 1977.

دراسات الترجمة: بحث في المفاهيم بين التراث والمعاصرة

Translation Studies : Research in the Concepts
Between Traditional and Contemporary Course

سعيدة كحيل
جامعة عنابة-الجزائر
kohsaida@yahoo.fr

الملخص :
يدرس المقال مفاهيم الترجمة في الدرس التراثي والمعاصر، بالتركيز على تعريفها عند العرب والغرب، هذه المفاهيم التي مهدت لتفرد الترجمة بنظرياتها ومصطلحاتها ومناهجها ومدارسها. وقد يبدو جليا التركيز على التصور الأول عند العرب لماهية الفعل الترجمي من خلال قراءة سياقات من كتاب الحيوان للجاحظ والذي تأثر بحركة الترجمة في عصره مما مكنه من تجاوز المفاهيم الأولى إلى تحديد تصور لنقد ترجمة أنواع من النصوص ومنها معاني القرآن والشعر. وخلصت الدراسة إلى توضيح أهمية العمل المصطلحي في مجال علم الترجمة.

الكلمات المفتاحية : المفهوم، التراث، المعاصرة، نظرية الترجمة، المصطلح الترجمي.

Abstract :

The article deals with the concepts of translation in the tradition context and in contemporary studies, providing an overview of how these concepts are defined by Arabs and Western researchers, paving the way for translation : its theories, terminology, methods and schools. The focus is on the initial Arab understanding of the translation act based on the reading of some excerpts from al-Ǧāḥiẓ's book « al-Ḥayawān» , which was influenced by the translation movement in his time, enabling him to go beyond the initial concepts to a definition of translation criticism of some types of texts, including the Qur'an and poetry. In its conclusion, the study clarifies the importance of terminological work in the field of translation science.

Keywords : Concept, tradition, contemporary, translation theory, translation terminology.

مقدمة:

إن الترجمة نشاط إنساني عالمي، وهي ترنو لتكون موضوعا لعلم متخصص في سياق لساني وتعليمي. تطلب إعداد هذه الدراسة التعريف بالمفاهيم والمصطلحات، ثم دراسة في تاريخ الترجمة عند العرب والجهود الكبيرة التي بذلوها في نقل التراث اليوناني عبر الوسيط السرياني وغيره مطبقين طرائق عملية لها محاسنها ومساوئها. كما نشير إلى تبلور تصور نظري عند العرب من خلال عرض مفاهيم متقاربة مع الطرح الغربي الحديث.

1. مفاهيم أولية للترجمة:

وردت تعريفات كثيرة لمادة ترجم وأولها في لسان العرب :

> "أما ترجمان فقد حكيت ترجمان بضم أوله، ومثاله: فعللان كعترفان ودحمان وكذلك التاء أيضا فيمن فتحها أصلية، وإن لم يكن في الكلام مثل جعفر لأنه قد يجوز مع الألف والنون من الأمثلة ما لولاهما لم يجز، كعنفوان وجندبان وريهقان. ويقال: قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومعه الترجمان، والجمع تراجم مثل زعفران وزعافر وصحصحان وصحاصح. قال: "ولك أن تضم التاء لضم الجيم فتقول: ترجمان مثل يسروع ويسروع". قال الراجز: " كالترجمان لقي الأنباط"[1].

أكد ابن منظور في تعريفه على المادة اللغوية وطريقة نطقها والقياس عليها مقيما المعنى على التفسير والإبانة. أما المصباح المنير فجاء فيه: " ترجم فلان كلامه إذا بينه وأوضحه وترجم كلام غيره إذا عبر بلغة غير لغة المتكلم. واسم الفاعل ترجمان ووزن الفعل ترجم -فعلل- ولسان مترجم إذا كان فصيحا ويجمع تراجم وتراجمه"[2]. وأما صاحب القاموس فقد تعرض إلى مادة ترجم في أغلب تصاريفها مشيرا إلى معنى التفسير بلسان المتكلم وبغير لغته في آن واحد. كما جاء في المعجم الوسيط: "ترجم الكلام بينه ووضحه وكلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى ولفلان ذكر ترجمته" [3].

يشير المعجم الوسيط إلى معنى الإبانة لمادة الترجمة ملتقيا مع ابن منظور والفيومي في هذا المعنى ذاكرا شرط الاختلاف اللغوي في النقل مضيفا استعمالا آخر لكلمة ترجمة وهو: "ذكر السيرة الذاتية".

وقد وردت كلمتا ترجمان وتراجم في الشعر العربي. قال الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة:

"إن الثمـانين وبلغتـــــها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان"

بمعنى الحاجة إلى المفسر والمبين للكلام. وقال أبو الطيب المتنبي من قصيدة يصف فيها جيش الروم في معركة الحدث:

"تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم"

والتراجم جمع ترجمان أي المفسرين للكلام. وقال في وصف شعب بوان من قصيدة مدح بها عضد الدولة:

"مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان"

"ملاعب جنــة لو ســار فيــها سليمان لسار بترجمـان"

يشير الشاعر هنا إلى جمال المكان الموصوف والذي قد يعجز عن الإفصاح عن سره حتى سليمان فيلجأ إلى مفسر. ومن هذا المعنى اللغوي لكلمة الترجمة الذي يميل إلى التفسير نستدل على أن الكلمة عربية الأصل، وDragoman[4]استعارها الإنجليز وأدخلوها في معجمهم .

-الترجمة في سياقات عامة:

تتفق أغلب التعريفات الاصطلاحية لكلمة ترجمة على أنها نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى مع المحافظة على التكافؤ. ففي معجم مصطلحات الأدب ورد هذا التعريف: "هي إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلا، ومع قدم الترجمة قدم الأدب نفسه. وهناك جدل مستمر بين من يرون فيها التقيد بالأصل حرفيا ومن يرون التصرف ومن يرون عدم الجدوى في الترجمة لمن يريد تذوق الأثر الأدبي على الوجه الصحيح...."[5].

يربط هذا التعريف بين الترجمة والأدب مع التأكيد على شرط الاختلاف اللغوي في الترجمة ويعرض إلى ماهيتها من خلال أراء متعارضة. وقد ورد تعريف الترجمة في القواميس الأجنبية بدقة تزامنت مع ظهور نظريات الترجمة؛ وقد عرف قاموس تعليمية اللغات لغاليسون ود. كوست بأنها : ترجمة علامات اللغة بوساطة علامات لغة أخرى وهي أيضا ترجمة علامات لغة طبيعية بوساطة لغة طبيعية

أخرى. وتعتبر النظريات البنوية أن كل لغة تشكل كلا موحدا وهي تجزئ التجربة الإنسانية بطريقة خصوصية، وبما أن الدوال لم تكن يوما متطابقة، لذلك لا يمكن أن تكون الترجمة كلمة، كلمة[6].

وفي قاموس اللسانيات ل "دي بوا" ورد تعريف للترجمة على أنها التعبير بلغة أخرى (أو اللغة الهدف)، عما تقصده لغة أخرى (لغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤ الدلالي والأسلوبي[7].ويختلف التعريفان من حيث أن "غاليسون" يؤكد على أن اللغات لا يمكنها التطابق، وبالتالي التأكيد على استحالة الترجمة الحرفية، بينما يرى "دي بوا" أن شرط الترجمة هو الارتباط بلغتين مختلفتين وأن النقل لابد أن يراعي التكافؤ بين المستويات اللغوية والمعنى.

يذكر "ألان راي" أنواع الترجمة الوفية والحرفية ويطرح فكرة التكافؤ[8]. كما تعرضت القواميس الانجليزية إلى معنى الترجمة الذي يحيل على كل ما يقال أو يكتب في لغة إلى لغة أخرى ومثال قولك: "طلب مني أن أترجم الرسالة إلى اليابانية "[9].

- الترجمة في سياقات خاصة:

يمكن استعمال كلمة ترجمة في أربعة سياقات:

1- الترجمة عملية تطبيقية لفك رموز النص الأصلي وترميز لغة النص الهدف.

2-الترجمة كنتاج لعملية فك الرموز.

3- الترجمة كطريقة من طرائق تعليم اللغة الأجنبية.

4- الترجمة كمجال أكاديمي له مقرراته وعلومه المتداخلة كاللسانيات والسيميائيات وتحليل الخطاب وعلم الاجتماع والنفس اللغويين، ونظرية الاتصال، وتعليم الترجمة. ولكل سياق من هذه السياقات أبعاده وحدوده ومصطلحاته.

في حين أن قاموس اللسانيات وعلوم اللغة يفصل الكلام في الترجمة من حيث ماهيتها وطبيعة العمل الترجمي فهي تتعلق أساسا بتمرير رسالة ما من لغة البدء (لغة المصدر) إلى لغة الوصول (اللغة الهدف) وهذا المصطلح يعين في الآن نفسه النشاط ونتائجه. وهنا نميز بين الترجمة بنوعيها الأدبي والتقني، في علاقة بالتفرع الذي يمس طبيعة النصوص المترجمة ونمطا الذي ننتظره .كما يشكل تباينا مهنيا.

إن الترجمة على هذا الأساس نشاط إنساني عالمي كان له أهميته في كل المراحل بفضل التعارف الذي فرض على المجتمعات والأفراد اللغوية المختلفة. وترنو الترجمة لتكون موضوعا لعلم متخصص، هو علم الترجمة، في سياق لساني وفي علاقة مع الترجمة كنشاط علمي ومؤسساتي.

لا شك أن الكلام عن تعليمية الترجمة يقتضي أولا وعيا مفاهيميا يميز بين الترجمة والنقل. وتركز الترجمة على محتوى الخطاب واحترام نظام لغة الهدف، وأما النقل فيرتبط بالمستويات الشكلية للخطاب ويمكن أن يوسم بالترجمة الحرفية. حيث ميز جاكبسون ثلاث طرائق لتأويل العلامة اللغوية، وللترجمة بعد تأويلي حسبه بالرجوع إلى ثلاثة أشكال للترجمة[10]:

أ. الترجمة داخل اللغة الواحدة: وتتم فيها إعادة الصياغة حيث نقوم بترجمة كل كلمة بما يراد منها.

ب. الترجمة بين اللغتين: وهي الترجمة بمعناها الشائع.

ج. الترجمة بين خطابين سيميائيين: وتتم بتأويل علامات لغوية بأنساق من العلامات غير اللغوية.

فالترجمة على هذا الأساس وسيلة للتقريب بين لغتين أو ثقافتين، وفق عمل تأويلي وسيميائي لتعليمية الترجمة وإعداد الدرس الترجمي. وهذه الأشكال الترجمية تنبثق أساسا من نوعين : الترجمة الشفهية، والترجمة التحريرية ، ولكل نوع منها العلمية والأدبية طرائق في الترجمة وصعوبات في الأداء.

2. دراسة في تاريخ الترجمة:

يزكو الفكر بالتداول بين الناس، منيرا لعقول البشر. ولئن كان للسابق فضل الابتداء فللاحق فضل الاقتداء وتابعة البناء، وفي هذا تبرز أهمية الترجمة في التاريخ. وعن تاريخها القديم "فقد وجدت ستمائة لوحة من الخزف المحروق في تل العمارنة بمدينة المنيا في البقعة التي تضم مدينة آخت آتون وهي مكتوبة باللغة الأكادية وبالخط المسماري وجاءت لمصر في القرن الخامس عشر من بابل وأشور وجزر اليونان وكانت مصر ترد على المراسلات بالأكادية في الألف الثالث قبل الميلاد"[11].

هذا يعنى أن اللغة الأكادية كانت اللغة الرسمية للعالم، وقد أجمع المؤرخون أن قياصرة الروم وأكاسرة الفرس كانوا يتخذون في دواوينهم تراجمه. ثم إن اللغات

يعلو شأنها بعلو أصحابها وتنحصر وتضعف بضعفهم، فإذا باليونانية بعد فتوح الإسكندر المقدوني تصبح لغة العالم المتحضر ولغة التأليف في العلم والأدب.

وقد أثر ت هذه اللغة على المعرفة البشرية، مستفيدة لا محالة من الشعوب السابقة كالمصريين والفينيقيين...ومن الطبيعي أن تحدث الاستفادة بالترجمة، إلا أن الإشارة إلى هذه الحقيقة تكاد تنعدم في الوثائق التاريخية. وعندما جاء الرومان حافظوا على استعمال اليونانية في تمثيل الآثار الفكرية وبدرجة أقل اللاتينية. وقد سجلت في عهدهم ترجمة الإنجيل سنة 384م بعد أن كان مكتوبا بالعبرية.

أما الفرس فقد ترجموا عن الهند كتاب كليلة ودمنة وتم نقله على يد الطبيب الفارسي برزويه بن أزهر من اللغة الهندية السانسيكريتية إلى اللغة الفهلوية. ولذا فإن "أول حركة واسعة ومنظمة للترجمة العلمية والثقافية إنما هي التي بادر بها العرب"[12].

3. حركة الترجمة عند العرب:

يمكن وصف الحركة العربية للترجمة بأنها متعددة المصادر حيث ترجم العرب عن الهندية والفارسية والسريانية والنبطية وخاصة اليونانية. كما أنها حركة متسعة شملت القرنين الثاني والثالث للهجرة وتعلقت بعلوم ومعارف مختلفة كالرياضيات والفلسفة والطب والكيمياء والهندسة... فأما الأدب فلم يترجموا إلا القليل منه، لاعتزازهم بشعرهم. وكانت حركة منظمة افتتحت في العصر الأموي على يد الأمير خالد بن يزيد الذي استقدم العلماء والمترجمين لأجل نقل كتب الكيمياء والطب عن اليونان. ولكنها انتشرت وفق نظام خاص بعهد بني العباس فقد تعهدتها الخلافة بالإنفاق منذ الخليفة المنصور، الذي أنشأ ديوان الترجمة ووسعه هارون الرشيد بعده، ليأتي المأمون بإنجاز حضاري هو بيت الحكمة.

لقد شهد العصر العباسي الأول وكذلك الثاني تطبيقا عمليا متميزا للتلقي الذي كان له الأثر البعيد في إعادة الترجمة إلى اللغات الأجنبية، ما نقل سابقا إلى العربية. ولقد قام البرامكة بترجمة الثقافة الفارسية "وأهم ما نقلوا كتاب هزار أفسانة وهو أصل "ألف ليلة وليلة" وترجم إبان بن عبد الحميد بن لاحق (ت200هـ)، كتاب كليلة ودمنة إلى الشعر وأهداه للبرمكي".

ومن تأثيرات كتاب "ألف ليلة وليلة" في ترجمته إلى العربية، ظهور قصة عبد الرحمان جبير "شهرزاد ملكة" والذي وظف فيها أيضا الأفكار المنتشرة في كليلة ودمنة حول الحكم. فالاقتباس من الأصل ثم الإضافة كانا وسيلة الاستفادة من الأعمال المترجمة. وينتهي العصر العباسي الأول ببزوغ اسم حنين بن إسحاق كأمع مترجم في عهد الخليفة المأمون وكان دقيقا في ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن ما يترجمه ذهبا. وقد عاش إلى سنة 264هـ. ويأتي العصر العباسي الثاني فتتسع حركة الترجمة عن اليونانية ويرقى العمل الترجمي من مستوى تعريب المصطلحات والترجمة الحرفية المليئة بالعثرات والصعوبات اللفظية إلى ترجمة النصوص ترجمة دقيقة. ويبزغ اسم حنين بن إسحاق(ت 298هـ) في ترجمة كتب الطب عن جالينوس خاصة وعني ابن إسحاق بترجمة الكتب الحكمية والفلسفية لأرسطو وإقليدس وبطليموس. وهناك ثابت بن قرة (ت 288هـ) الذي ترجم كتاب الأصول لإقليدس.

ونتوقف عند أسماء عرفت بالعلم والبحث ثم الترجمة، وكان على عاتقها ترجمة أغلب الآثار الفكرية اليونانية وهي: أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي (232هـ)،جعفر بن محمد البلخي(272هـ)،الفضل بن حاتم التبريزي(31هـ)، محمد بن سنان البتاتي (317هـ)،أبو بكر الرازي (311هـ) ،الكندي يعقوب بن إسحاق (26هـ)، الفارابي أبو النصر بن طرخان(339هـ).

وقد تميزت أغلب ترجماتهم بالإبداعية لأنهم كانوا أعرف بالموضوعات التي ترجموها. ولعل الإشادة بترجمة كتاب الحيوان لأرسطو التي أجادها البتاني واستلهمها الجاحظ في كتابه الرائع "الحيوان" تعد أمرا لابد منه.

ولقد أثر الكندي في أسلوب روجر بيكون (1214-1294) وهو فيلسوف وعالم انجليزي له دوره الثوري في تطوير الفكر الانجليزي[13]. ومما ساعد العرب على تجشم صعوبة الترجمة عن اليونانية وأغلبهم لا يعرفون القدر الكثير من هذه اللغة، اتصافهم بالشجاعة المعنوية والثقة بالقدرة الذهنية على إدراك المعاني الدقيقة، وامتلاكهم ملكة الحفظ التي تغني عن الرجوع إلى الأصل مرارا وخاصة إيمانهم بقدرة اللغة العربية على التعبير والإفصاح.

4. طرائق الترجمة عند العرب:

ورد في كتاب الغيث المسجم للصفدي وهو من علماء القرن الرابع عشر الميلادي ذكر للمبادئ المتبعة في الترجمة[14].وللترجمة في النقل طريقان:

- أحدهما طريق يوحنا بن البطريق، وابن ناعمة الحمصي وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه.

وهذه الطريقة رديئة لوجهين، أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا دخلت عن طريق التعريب كثير من الألفاظ اليونانية .والثاني: إن خواص التركيب لا تطابق نظيرتها من لغة أخرى دائما. وقد يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات.

- الطريق الثاني في التعريب هو طريق حنين بن إسحاق والجوهري وغيرهما. وهو أن يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أو خالفتها. وهذا الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب من غير الرياضيات لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطب والمنطق الطبيعي والإلهي فان الذي عربه منها مستحسن. فأما إقليدس فقد صححه ثابت بن قرة.

وقد علق سليمان البستاني على هذين الطريقين اللذين أشار إليهما الصفدي منذ ستة قرون على أنهما مذهبان سار عليهما جيل ما بعد هذه المرحلة.

- تصور الجاحظ لفعل الترجمة:

نظرا لأهمية الترجمة في الحياة ، فقد استدعت أن تكون موضع اهتمام الكتاب، فتكلموا عن وظيفتها وشروطها، ولعل أبرزهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي وضع في كتابه الحيوان أسس نظرية الترجمة. قال : "إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قاله الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدي الأمانة فيها، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها إلا أن يكون في العلم بمعانيها واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه فمتى

كان رحمه الله تعالى: ابن البطريق وابن ناعمة وابن قرة وابن المقفع مثل أرسطا طاليس؟! ومتى كان خالد مثل أفلاطون؟! "[15].

يؤمن الجاحظ بحقيقة صعوبة الترجمة الأمينة للنص الأصلي، ذلك أن المترجم ناقل لعمل يمتلكه كاتب، انصهر في التجربة ونخل من بنات أفكاره ما جعل غيره لا يتحد به. - وقال في شروط الترجمة الصحيحة : "ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعترض عليها.

وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما. وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين. على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات، وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق والعلماء به أقل، كان أشد على المترجم وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء "[16]. هكذا نجد الجاحظ قد اشترط في المترجم أن يكون ذا قدرة على البيان والتعبير، لا تقل عن علمه ومعرفته، وأن يكون متقنا للغتين. على أنه يستبعد أن يجمع بينهما كل الجمع، وأن يصنع التكافؤ. إن مجرد استعمال لغتين يوقع صاحبه في الخطأ وبهذا يكون الجاحظ قد أشار إلى معنى التداخل اللغوي. وعلى العموم يمكن أن نجمل الشروط ضمن التأسيس لنظرية الترجمة التي تحدث عنها الجاحظ في هذه النقاط:

1-أن يكون المترجم عارفا بالموضوع الذي يترجمه.

2-أن يكون بيانه في الترجمة في وزن علمه بالموضوع المترجم.

3-أن يكون متقنا للغتي الترجمة وهذا صعب.

4-أن يكون عارفا بأسلوب المؤلف وعباراته وألفاظه وتأويلاته.

5-أن يحافظ على المرامي الدقيقة للموضوع ولا يكون ذلك إلا بنقل مادة المضمون دون تأويل.

تكلم الجاحظ في موضع من كتاب الحيوان عن استحالة ترجمة الشعر لاحتكامه إلى الوزن ومن ثم فليس كل ما يكتب يترجم. هذا عن الترجمة عند العرب

في بداية عهدها، فإنها خضعت للجهد التطبيقي وتعريب النصوص ، ثم إن من الكتاب الموسوعيين من أسهم بالجهد التنظيري وقام بتقويم هذه الأعمال.

والملاحظ أن ما كتبه الجاحظ في الحيوان، لا ينأى كثيرا في فحواه عن نظريات الترجمة اللسانية، ويتعلق الأمر أساسا بالتمكن من لغة أو لغات العمل الترجمي. كما يشير إلى ملاحظات التداخل اللغوي ووجود المقابلات أو عدم وجودها بين اللغات "المصدر والهدف L- source, L- cible"[17].كما تطرق إلى موضوع صعوبة الترجمة، باختلاف نوع النصوص، فمنها الفلسفي والديني والأدبي والعلمي والتقني... ولكل صعوبته.

وانشغل الجاحظ أيضا بفهم النص انطلاقا من لغته، وظلال معانيه. إلا أنه كان ملاحظا خارجيا، لأنه لم يكن مترجما، ومع ذلك اعتبرت هذه الملاحظات مرجعا أساسا للدراسات التنظيرية في مجال الترجمة عموما. وتقوم أفكار الجاحظ على الواقع. إلا أن عدم تمكنه من اللغات كان سببا في حكمه على كفاءة ومنتج المترجم، فهو يقرأ النص بالعربية في لغته لا غير، دون أن يتأثر بتراكيب لغات المترجم. هذا الحكم لم يشمل حنين بن إسحاق، لأنه يبدو أنه كتب ما كتب قبل أن يطلع على ترجمته الدقيقة. ويحق لنا أن نستعمل مصطلح "نظرية" « Théorie » في عرض نصوص الجاحظ في الحيوان عن الترجمة، وسنرى أن النظريات المعاصرة للترجمة لم تبتعد كثيرا عما أورده. وإننا في تعليمية الترجمة سنعود إلى تأكيد هذه الآراء العلمية. هذا هو تراث العرب في الترجمة الذي تراوح بين النظري والعملي، وكان عاملا حضاريا في كل حقبات التاريخ. فقد علقت "زغريد هونكه" على هذا التراث ممجدة دور العرب في نشر الثقافة :

> "لم يكن ما أنقذه العرب من ثقافات ليحفظ في المتاحف بعيدا عن النور والهواء كلا، إن كل ما أنقذوه من الفناء قد خرجوا به من عالم النسيان والتعفن وبعثوا فيه حياة جديدة وجعلوه في متناول كل راغب عن طريق ترجمته وقد ترجموه ليس إلى لغة جامدة غريبة عن الشعب، لا يفهمها إلا الخاصة كاللاتينية في الغرب منذ القرن الثامن الميلادي، بل ترجموه إلى لغة حية في مكان آنذاك، هي لغة القرآن وكانت هذه الترجمة هي العماد الثاني الذي قامت عليه الثقافة العربية..."[18]

5. تاريخ الترجمة عند الغرب:

لقد كانت الأندلس وإيطاليا مركز إشعاع علمي وحضاري ساهم العلماء فيه من العرب وغيرهم في نقل الكتب الإغريقية للمحافظة على التراث الإنساني بالترجمة والتعليق والتفسير. وقد بلغ ازدهار الترجمة في عصر النهضة الأوروبية أوجه، ابتداء من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر بعد أن انتشر تعلم اللغة اللاتينية والترجمة منها مباشرة إلى اللغات الوطنية، حيث قام "مارتن لوثر" بترجمة الإنجيل إلى اللغة الشعبية الألمانية وأجرى التعديلات على الأبنية والمصطلحات التي لم تكن مفهومة. وبذلك عدت الترجمة في عهده خلقا جديدا لا يمت إلى الأصل إلا في معناه.

أما القرن العشرين فقد عرف ظهور مفاهيم جديدة للترجمة وذلك بوجود عاملين جديدين أثرا فيها من حيث ماهيتها فنا وعلما، وفي طرائق تطبيقها وتقنياتها.

6. نشأة علم الترجمة عند الغرب:

عدت الترجمة لقرون عملا تطبيقيا، وكانت الدواعي مختلفة لإنجازها، منها المعايير الثقافية والعقائدية والجمالية. وأما العصور الوسطى والتي عرفت انتقال الثقافة والفكر إلى الأندلس، فقد كانت معايير الترجمة خلالها دينية فلسفية متخذة طريقة الترجمة الحرفية في نقل النصوص.

في هذه المرحلة نشأ الاهتمام باللغات الوطنية ونقل الكتاب المقدس إليها. ومنذ سنة 1363 شجع "شارل الخامس" ترجمة الأعمال القديمة إلى اللغات الوطنية كالفرنسية والألمانية نقلا عن اللاتينية كلغة أصلية. وفي انجلترا عدت سنوات (1558 - 1603) أعظم مرحلة للترجمة وسيطا حضاريا بين المجتمعات، وأشهر مترجم للكتاب المقدس" ويليام تاندال" وقد اعتمد على الترجمة الحرفية أكثر من الحرة.

أما فرنسا فقد أطلق اللغوي والمترجم "روبار إتيان" سنة 1539 كلمة "ترجم" (الفعل) أتبعها "إيتيان دولي" بالاسم "ترجمة" (الاسم) traduire - traduction. واعتبر العمل الترجمي شاقا .ومن أهم أعمال "إتيان دولي" التنظيرية لعلم الترجمة التي نشرت سنة 1540 عمل بعنوان: (طريقة الترجمة الجيدة عن اللغات).وأهم ما ذكره عن طبيعة العمل الترجمي يلتقي فيه مع الجاحظ نذكر ما يلي:

1- يجب على المترجم أن يسمع ويعي جيدا المعنى الذي يقصده الكاتب.

2- أن يتقن اللغتين كمجال للعمل.

3- ترجمة الجمل وعدم الاكتفاء بالألفاظ.

4- تفادي التعابير الصعبة والغريبة والمستعارة والتقيد بالاستعمال المشترك.

5- استعمال الحواس جميعها في التقرب إلى النص وكاتبه من ملاحظة وتذوق إلخ.

ورغم احتكام "دولي" إلى العموميات فإن هذه القواعد تكشف عن وعي جمالي بمشكلات الترجمة ويمكن عدها من نظرية المعنى. هذا وقد بدأ الاهتمام بالترجمة يتزايد بتأثير جملة من العوامل "أولا الحاجة إلى حل مشكلة وجود لغتين أساسيتين رسميتين في كندا... وثانيا استعانة جمعية الكتاب المقدس" The Americain Bible Society" في الولايات المتحدة بعدد من علماء اللسانيات وعلى رأسهم أوجين نيدا "Eugène Nida" للإشراف على الترجمة. ثالثا سعي علماء الرياضيات إلى تحويل الحاسبات إلى آلات ترجمة"[19]. بالإضافة إلى عوامل انفتاح العالم وكثرة الأسفار، مما أدى الى حاجة التعرف على اللغات الأجنبية. ومع ذلك بقيت الترجمة نوعا من أنواع الكتابة، ولم ينظر إليها كعلم أو فن مستقل بل عدت تمرينا أدبيا. وفي مجال اللغات الأجنبية استعملت كطريقة لتعلم اللغات ودعيت طريقة (القواعد والترجمة) وكان "أكثر التدريبات شيوعا هو الترجمة من اللغة القومية إلى اللغة الأجنبية..."[20]. وهي من الطرق العقيمة في تعلم اللغة، لأنها لم تؤسس على أسس علمية ولغوية وسيكولوجية، وقد استمر استعمالها لفترة طويلة في مجال التعليم وكانت تهتم بالدرجة الأولى بوضع قوائم من كلمات اللغتين المختلفتين. وجعل المتعلمين يمارسون حفظها، وكذلك اعتمدت على صياغة القواعد التابعة لهاتين اللغتين وترجمتها، فلم يكن الهدف تعليميا بل كان الجهد مكثفا لحفظ النصوص الأدبية الرائعة.

وقد استمر استعمال هذه الطريقة لفترة طويلة من الزمن في مجال التعليم، وبقي النظر إلى الترجمة على أنها ممارسة فنية لا تحتكم إلى التكوين. وفي سنة 1945 وبتأثير "أوجين نيدا" تحقق الجديد في مجال التنظير للترجمة في مقاله الشهير(Word). ثم العمل الرائد له "نحو نظرية للترجمة" سنة 1963. مستخلصا تجربته في ترجمة الكتاب المقدس[21] في التأكيد على ضرورة دراسة اللسانيات لحل مشكلات الترجمة. وقد قامت جهود علمية تنظيرية بعده

اقترن الوصف العلمي للترجمة بانتشار الفكر اللساني مع "فرديناند دوسوسير" "Ferdinand de Saussure"،وتأثير المنهج الوصفي ودراسة بنية اللغة والخلفية الاجتماعية والنفسية لها وتوظيف التقنيات والمصطلحات الرياضية في دراسة اللغة، ثم ظهور فرع من فروع اللسانيات"Linguistique générale" وهو اللسانيات التطبيقية"la linguistique appliquée"وقد استقل كعلم دقيق بعد ذلك، ومن فروعه تعليمية الترجمة حيث ضبط منهاجها وطرائقها في التدريس... وكل هذا وجه العملية الترجمية اتجاها علميا وتقنيا دقيقا تجلى ذلك في إطار المدرسة البنوية الأوروبية وحلقة براغ[22]،

أما المدرسة الأمريكية بدعم من أوجين نيدا من خلال أعماله (بنية اللغة ونظرية الترجمة -Structure Of Language and Theory of Translation) وكتابه "نحو علم الترجمة" (Towards a Science of Translation)، فقد ساهمت بإدخال مفاهيم علمية جديدة للترجمة بعد أن عدت لزمن فنا. وقد تابع مسيرته في أوروبا مجموعة كبيرة من واضعي نظريات الترجمة[23] مركزين على مظهرين من مظاهر اللغة: المظهر الثقافي والمظهر الخطابي.

وأما المستوى التقني للترجمة فقد تصاحب ونشأة الإعلام الآلي ونتج عنه ظهور الترجمة الآلية La traduction automatique[24]. حيث تخضع العناصر اللغوية للنص الأصلي للبرمجة الحاسوبية، ويتم نقلها إلى اللغة الهدف. والملاحظ على هذا النوع من الترجمة أنه يصل إلى نتائج جديدة في مستوى المصطلحات، وحتى في بعض النصوص العلمية الدقيقة. ولكن لا يمكن أن يصل إلى هذه النتائج كليا في نقل المستوى الدلالي للنصوص الأدبية خاصة... ووحده العمل المتكامل بين الحاسوب والإنسان المترجم كفيل بتحقيق النتائج المرجوة. كما أن التعاون الموجود بين اللسانيات والإعلام الآلي في وضع البرامج ييسر المهمة.

كانت الحاجة إلى التطبيق في المجال اللساني سببا في نشأة طريقة للترجمة مؤسسة على تحليل علمي هو : الأسلوبية المقارنة للفرنسية والإنجليزية[25] وقد جمع فيها الكاتبان فيناي وداربولني (1958) تحاليل وتجارب ثمينة لتلبية حاجة عاشتها كندا ذات الوضع اللغوي المزدوج، ففي البداية حلت مشكلة النصوص القانونية والحكومية الرسمية في لغتين رسميتين، مما شجع على تطوير مؤسسة الترجمة

التي انتسب إليها أكثر من مليون شخص لتكوينهم في التخصص. ولذلك أنجز كل منهما قواعد للترجمة الجيدة، وكان عمل المترجمين ينصب أساسا على ما يجب ترجمته ومالا يجب ترجمته إلا عن طريق الحدس intuition وسنفصل الكلام عن هذه القواعد عند تعرضنا لتقنيات الترجمة.

لقد عرفت المرحلة نفسها تعارفا بين المجتمعات بعد انتشار مدارس وجمعيات الترجمة. وكثرت الأعمال الترجمية للأدب في العالم وبكثرتها كثر التنظير للترجمة. فقد سجلت اليونسكو حتى عام 1970م زيادة قدرها 4.5 أضعاف المترجمات منذ عام 1948.وكانت الآراء النظرية تدرس الصراع بين الترجمة الحرة والترجمة الحرفية دون التعرض الى دور الترجمة في تطوير اللغات الوطنية. وكان عدم التنسيق بين المترجمين سببا في الوقوع في الأخطاء الاصطلاحية مما أدى "لتكوين نظرية للترجمة واقتراح طرائق للترجمة مرتبطة بهذه النظرية ومبنية عليها ولتدريس الترجمة وتقديم مقررات فيها"[26] لتكوين المترجمين.

يرى بعض المنظرين الصلة الوثيقة بين علم اللغة وعلم الترجمة حيث "تشتق نظرية الترجمة من علم اللغة المقارن في إطار علم اللغة " [27] فعلم الدلالة له علاقة بالترجمة في جانب دراستها للثابت وهو المعنى، كما أن علم اللغة الاجتماعي في دراسته للغات واللهجات الاجتماعية المختلفة، المتشابهة والمتغايرة ومشكلات الاحتكاك ونتائجها على اللغة، له علاقة بالترجمة ومشاكل التداخل. وبما أن علم الدلالة يذلل صعوبات المعنى فإن السيميائيات لها علاقة بتفسير الأدلة أو الرموز ويورد نيومارك مثالا للحلوى الثلجية ودلالاتها المختلفة. فحين تتموضع هذه الكلمة في النص فهي في مفهوم القارئ، حلوى مجمدة تتميز بنكهة خاصة، وبالنسبة لصانعها فهي مصدر رزق، وأما ربة البيت فتراها مصدر إزعاج يتطلب صرف المال، أما للطفل فهي مصدر متعة ولذة. ولو وضع القارئ نفسه موضع المترجم لاستحضر كل هذه الدلالات انطلاقا من الرمز اللغوي الواحد، مما يخلق صعوبة من صعوبات الترجمة تذللها العلوم المذكورة سابقا.

خاتمة:

يحيلنا البحث في مفاهيم الترجمة بين التراث والمعاصرة على مقاربات متضافرة ومتقاربة في الطرح تفسر طبيعة دراسات الترجمة عند العرب والغرب. ففي حين ركز الدرس العربي على تصورات تنبع من الممارسة وتتخذ حجة في النقل عن الفكر اليوناني ،نرى المفاهيم الغربية أقرب إلى الدقة المصطلحية المنسجمة مع الطرح الفلسفي. إلا أن التناغم بينهما ولّد تقاربا مفاهيميا بمصطلحات متغايرة لم يتجاوزها الدرس المعاصر إلا اصطلاحا.

الإحالات :

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990، ص ص 229 - 230.

[2] أحمد الفيومي، المصباح المنير، بيروت 1996، ص 43.

[3] مجمع اللغة العربية بالقاهرة -المعجم الوسيط-، مطابع الأوغست، القاهرة ، ط3، ص 87.

[4] محمد عوض محمد- فن الترجمة. معهد البحوث والدراسات العربية، مصر ، 1969، ص 7.

[5] مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974، ص 576.

[6] R. Galisson et D. Coste. Dictionnaire de didactique des langues. Hachette. France 1976. p. 566.

[7] J. Dubois et autres. Dictionnaire de linguistique -larousse.1973. p. 430.

[8] Alain Rey. Le robert dictionnaire d'aujourd'hui. France loisirs. Paris. 1995. p. 1027

[9] Harrap's Easy English Dictionary : ph.Collin -London 12 in -1991.p487.

[10] Gilles Siouffi et Dan Van Raemdonck. 100 fiches pour comprendre la linguistique. Bréal. Rosny. France. 1999. p. 170.

[11] شحاذة الخوري، الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، سوسة، تونس، 1988، ص17. من الترجمات ما تم في الشرق الأدنى، فقد ترجمت ملحمة جلجامش إلى اللغة الحثية والسومرية .

[12] المرجع نفسه، ص 24.

[13] بشير العيسوي، الترجمة إلى العربية قضايا وأراء بتصرف، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص 76.

[14] إبراهيم خورشيد، الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985، ص ص 8-9.

[15] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، الحيوان، تحقيق. ع. السلام هارون، دار الجيل ،بيروت 1996، ج1، ص ص 75-76.

[16] المرجع نفسه، ص ص76 -77.

[17] ورد تعريف لمصطلح اللغة المصدر والهدف في قاموس اللسانيات على أنها هي لغة النص المترجم سواء من لغة المصدر إلى للغة الهدف والعكس صحيح.

Jean Dubois. Dictionnaire de linguistique. Larousse. France. 1989. p. 447 et p. 86.

[18] زغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1981 ص 378.

[19] جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، ت. لطيف زيتوني، ط1، دار المنتخب العربي، لبنان، 1994، ص ص 6-7.

[20] نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 170.

[21] وصلت ترجمات الإنجيل في سنة 1951 الى 1000 لغة وهي السنة التي زامنت رئاسة نايدا "Nida" للجمعية الأمريكية لترجمة الإنجيل.

[22] تكونت حلقة براغ عام 1926 أي بعد عشر سنوات من ظهور محاضرات اللغوي السويسري سوسير في تشيكوسلوفاكيا على يد مجموعة من اللسانيين. وقد قام رائد هذه المدرسة اللساني البولندي جاكبسون (N. s Troubetskoy et Karcevsky) وزميلاه الروسيان تروبتسكوى وكارسفكسي بعرض مجموعة من المبادئ اللسانية وقدموها إلى المؤتمر الأول لعلماء اللغة الذي عقد في لاهاي بهولندا عام 1928 تحت عنوان "النصوص الأساسية لحلقة براغ" ثم صاغوا منهجهم لدراسة اللغة في بيان أصدروه في مؤتمر اللغات، حيث صنفت المدرسة البنوية ضمن المدارس اللسانية في دراستها المستوى الصوتي والدلالي هذا إلى جانب اهتمامهم بتمييز أصوات الكلام وأصوات اللسان. لقد ظهرت لدى أعضاء المدرسة قواعد الفونولوجيا بين أصوات اللغة من حيث وظيفتها الدلالية وتوزيعها في النظام الصوتي لها، وهو أول تعميق منهجي لنظرية اللغة كنظام من العلامات. ينظر سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997، ص ص 113- 114.

[23] ينظر: كحيل سعيدة ،تعليمية الترجمة ،عالم الكتب الحديث ،عمان، 2009.

[24] رجع الأعمال الأولى لوضع آلات الترجمة الآلية للغات الطبيعية إلى الحرب العالمية الثانية عندما احتاج الجنود الأمريكيون إلى آلات تقرأ الرسائل المشفرة للجيش الياباني. ثم استعملت نفس التقنيات في الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي حيث استعمل سجل للكلمات من اللغة الأصل والهدف ووضع أنظمة تنسيق بينها وظهرت مشكلات نحوية وصرفية ودلالية إلا أنه أمكن بمساعدة الإنسان التوصل إلى ترجمة بعض الجمل البسيطة.

[25] Georges Mounin : linguistique et traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles, 1974, p. 99.

[26] بيتر نيومارك، اتجاهات في الترجمة، ت. محمود إسماعيل صيني، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1976، ص 16.

[27] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قائمة المصادروالمراجع:

- **باللغة العربية:**

1- ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.

2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو، الحيوان، تحقيق. ع. السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996، ج1.

3- حنا، سامي عياد ، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس. معجم اللسانيات الحديثة. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1997.

4- خرما، نايف، وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها عالم المعرفة الكويت، 1988.

5- خورشيد، إبراهيم، الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985.

6- الخوري، شحاذة، الترجمة قديما وحديثا، ط1، دار المعارف، سوسة، تونس، 1988.

7- العيسوي، بشير، الترجمة إلى العربية قضايا وأراء بتصرف، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1996.

8- الفيومي، أحمد، المصباح المنير، بيروت، 1996.

9- محمد، محمد عوض، فن الترجمة، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1969.

10- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع الأوغست، القاهرة، ط3.

11- مونان، جورج، المسائل النظرية في الترجمة، ت. لطيف زيتوني، ط1، دار المنتخب العربي، لبنان، 1994.

12- هونكة، زغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط6، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1981.

13- وهبة، مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، 1974.

- **باللغات الأجنبية:**

1- Dubois, J. Dictionnaire de linguistique. Larousse. France. 1989.
2- Dubois, J. et autres. Dictionnaire de linguistique. Larousse. 1973.
3- Galisson, R. et D. Coste. Dictionnaire de didactique des langues. Hachette. France. 1976.
4- Harrap's Easy English Dictionary : Collin. London. 1991.
5- Rey, Alain. Le robert. Dictionnaire d'aujourd'hui. France. Paris. 1995.
6- Siouffi, Gilles et Dan Van Raemdonck. 100 fiches pour comprendre la linguistique. Bréal. Rosny. France. 1999.

تجربة تعليم الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية في أقسام التعليم الثانوي السويدي من خلال المكتبة[1]

The Library of the Department of French as a Foreign Language
An Experiment in Swedish Secondary Classes

لـ: سفركر بنغتسن[2] - السويد
ترجمة: الطاهر لوصيف
جامعة الجزائر 2- الجزائر
taharloucif63@gmail.com

الملخص:
يعالج هذا المقال إشكالية اختيار المحتوى الدراسي ومناسبته لاحتياجات المتعلمين باعتبار أن تلك النصوص اللغوية المختارة تبقى اصطناعية في محتوياتها من ناحية ثروتها الافرادية، فضلا على أنه لا يتمكن مجموع التلاميذ من الممارسة اللغوية الطبيعية لها بحكم ضيق الوقت والعدد المتزايد لهؤلاء في كل قسم؛ ولذلك يتوجب في رأي صاحب المقال تبني طريقة يمكن أن تلبي حاجة المتعلمين في اختيار النصوص اللغوية والأدبية ذاتها، وذلك ما حاول أن يطرحه في مقاله هذا بناء على تجربة ميدانية ثرية بخصوص تعليم اللغة الفرنسية في التعليم الثانوي في السويد.

الكلمات المفتاحية: النصوص الأدبية، الكتاب المدرسي، المفردات، القراءة، الكتابة، ترجمة، تصحيح الأخطاء.

Abstract :

This article addresses the issue of selecting educational content and its suitability for the needs of learners, considering that the chosen linguistic texts remain artificial from the point of view of vocabulary richness. Additionally, due to the limited time and the increasing number of students in each class, learners are unable to engage in natural linguistic practice. Therefore, in the author's opinion, it is necessary to adopt a method that can meet the learners' needs in selecting linguistic and literary texts. This is what the author attempts to propose in this article based on a rich field experience regarding the teaching of the French language in secondary education in Sweden.

Keywords : Literary texts, textbooks, vocabulary, reading, writing, translation, error correction.

يتميز التعليم التقليدي خاصة، سواء أتعلق الأمر باللغات الأجنبية أم بالمواد الأخرى، بكونه مفروضا على التلاميذ، فعلى الأغلب يختار المؤلف نصوص الكتاب المدرسي المستخدم وفقا لاحتياجات من المفترض أن تناسب التلميذ المتوسط، ولكن حتى في هذه الحالة لم يكن الاختيار من هذا التلميذ. إذ يمكن أن تختلف الاهتمامات، كما نعلم، من شخص إلى آخر اختلافا كبيرا. فلماذا علينا أن ندرس النصوص إذن؟

يستحق هذا السؤال الأساسي أن يطرح حقا لتوسيع رصيد المفردات. ولكن أي مفردات؟ من الواضح أن المفردات التي تم استيعابها هي تلك التي استخدمها التلاميذ في المناقشة التي تقترب قدر الإمكان من الواقع، لكن متى سيواجه التلميذ هذا الموقف في المدرسة؟

إن التعليم، بحكم تعريفه، اصطناعي. فالطالب الثانوي يعلم أنه يستطيع أن يتواصل جيدا مع مخاطبه باللغة الأم. على أية حال يمكننا التظاهر بذلك، وأعتقد أن أغلبية التلاميذ هم، في الواقع، على استعداد للعب هذه اللعبة من أجل تلبية حاجة ما. وعلى الأقل يمكن التساؤل عما إذا كان بإمكانهم أن يتخيلوا بكل بساطة أن هذه الوضعية الملعوبة ستتحول إلى واقع بالنسبة لهم في المستقبل القريب.

لكن هل استغلال النصوص لا يقحم دائما استخداما شفويا للكلمات الواردة فيها؟

نعم من حيث المبدأ بخلاف الحال في الأفواج (ثلاثون تلميذا في القسم وأكثر في العديد من البلدان)، حيث تندر الفرص التي تمنح لكل طالب على حدة ليتكلم، ونعلم أيضا أن الفوج إن كان مكتظا فكثير من أعضائه لا تمنح له فرصة للكلام. وهي الحال عند البالغين أيضا حتى وإن استطاع أن يعبر بلغته الأم.

فحسب المختصين في علم النفس فإن هذا القانون "سيشعر به انطلاقا من سبعة أعضاء علاوة على ذلك تكون الجمل التي يتم إنتاجها في كل القسم إما متطابقة (كليشيهات) أو قصيرة للغاية".

إذا دعونا التلاميذ (حتى أولئك الذين تمدرسوا لسنوات) للتعبير باللغة الفرنسية فسرعان ما يجدون أنفسهم يطلبون منك مساعدتهم بكلمات من قبيل

"عادة"، "على الفور"، "أمام"، "ربما"، "يعتمد"... إلخ، أو العبارات أو الكلمات التي صادفوها مئات المرات في النصوص، ولكن بطبيعة الحال لم يستوعبوها.

أنا لا أجادل في أهمية النصوص فهي ضرورية لاسيما لتعريف الطلاب بواقع البلد الذين يدرسون فيه اللغة، لكن المفردات التي يستوعبونها هي، في رأيي، المفردات السلبية بالخصوص، التي لا يمكن مع ذلك التشكيك في جدواها، ولسنا مخطئين في كون المفردات النشطة نادرا ما يتم إثراؤها.

بحكم هذه التجارب، من الطبيعي إذن البحث عن طريقة يمكن أن تلبي في الوقت نفسه حاجة التلاميذ في اختيار النصوص التي يدرسونها بالنظر إلى اهتماماتهم وقدراتهم اللغوية (صعوبة اللغة)، وحاجتهم إلى منحهم إمكانية صياغة جمل طويلة نوعا ما (التي من خلالها يمكنهم كذلك استيعاب جزء من المفردات الجديدة).

فإذا سألنا التلاميذ عما ينتظرونه من التعليم المقدم، ستكون واحدة من الإجابات الأكثر شيوعا هي الآتية: "نريد تعلم كيفية إنشاء الجمل". سيبدون من خلال لفظ "إنشاء" أنهم يعتبرون تعلم اللغة نوعا من العمل المعماري: فلابد من معرفة كيفية وضع مختلف القطع معا لتشكيل المنزل الجميل الذي حلموا به. وسيكون بوسع الأساتذة نسيان العمل البطيء الصبور الذي قاموا به لتعلم هذا المعمار. ومن المفترض أيضا أنهم كانوا تلاميذ موهوبين بالخصوص في اللغات ومهتمين بها.

هنا ينبغي أن نقف قليلا عند اللفظين (بطيء وصبور). لقد اختبرنا الطرائق الشفوية والطرائق المباشرة، وأدركنا أن الإنسان الحديث بحاجة إلى التواصل الشفوي على الخصوص.

أضف إلى ذلك أن اللغة المكتوبة تعد حقيقة صعبة، فهي صعبة بالنسبة لأغلبية التلاميذ وبالخصوص في المدرسة الإجبارية، فالقواعد المعقدة عادة ما تشكل، كما نعلم، صعوبات حتى بالنسبة للتلاميذ الصغار الذين يدرسون لغتهم الأم.

إذا كنت هنا أدعو إلى الصياغة المكتوبة، فليس بأي حال من الأحوال لتحويل الدروس إلى محاضرة عن اللغة المكتوبة (أو حتى الأدبية)، وإنما لمنح التلاميذ إمكانية العمل بأريحية في لغة هي في جوهرها ليست إلا لغة شفوية معروضة كتابيا، وما من

شك في أن الكثير من التلاميذ متأثر بالتأكيد بالوتيرة السريعة جدا للتواصل الشفوي، فعلاوة على المعلم هناك دائما في القسم بعض التلاميذ الذين بإمكانهم التعبير بسرعة إلى حد ما؛ لأن لديهم موهبة خاصة في اللغات، أو كان لديهم حظ السفر أو الإقامة في بلد اللغة المدروسة، فهؤلاء يتسببون في فقدان الكثير من الشجاعة لزملائهم الذين، ومع ذلك ومن خلال الصبر الذي يبديه المعلم، يستطيعون صياغة جمل، وإن لم تكن صحيحة تماما، إلا أنها مقبولة على الأقل من وجهة نظر عملية التواصل.

يقرر التلميذ نفسه معدل عمله في التعبير الكتابي؛ إذ يستطيع منح نفسه الوقت اللازم للتفكير.

يتعلق الأمر هنا، بطبيعة الحال، بمرحلة وسيطة. فالهدف واضح: إذ في نهاية دراسته يكون التلميذ متمكنا من التعبير بطلاقة إلى حد ما في الحالات العادية والمتكررة، أو بتعبير آخر يستطيع الفهم والإفهام.

وقبل الوصول إلى هذا لابد من المرور عبر العمل (البطيء والصبور) لمدرسة الهندسة اللسانية". أي النصوص هي بمثابة محيط له؟ ومن الواضح أن معظم الكتب المدرسية العادية لن تكون لها أية فائدة تطبيقية، فهي في الحقيقة ليست مصممة لهذا الاستخدام، لأن هذه القراءة تتطلب في العموم نصوصا سهلة، ومن المحتمل أن تكون معدة لهذا الغرض، نصوص ليست معقدة جدا ولا نفسية أنشئت حول عمل واضح ومتسلسل بغية تفادي التلاميذ غير المعتادين في البداية الانزعاج الذي تسببه الأمور الجانبية في نسيان المقصود من النص.

أعلم أن مثل هذه الكيفية في رؤية الأشياء هي من طبيعة ما يصدم العقول الأدبية؛ ومع أنني أعتقد أن المعلم ومعظم التلاميذ لابد أن يكون لديهم طموح أكثر عندما يتعلق الأمر باختيار الكتب الأخيرة التي يدرسونها في نهاية مرحلة التمدرس، حيث لابد أن تحتوي مجموعة الكتب المتاحة للتلاميذ عناوين من نوع النصوص باللغة الفرنسية السهلة (حيث يشير رقم على الغلاف إلى الحد الأدنى من المفردات المطلوبة) وصولا إلى الأعمال الأصيلة، مثل "الغريب "و"الأمير الصغير".

ألا يستطيع التلاميذ التوصل إلى القراءة شفهيا إن لم يكن أمام كل القسم، على الأقل أمام فوج صغير مكون مثلا من الزملاء الذين قرأوا نصوصا مختلفة؟

إنه حل يعود كذلك على الإنتاج الشفوي مباشرة، ولكن ولأسباب منها ما ذكر أعلاه، لا يزال ذلك صعبا جدا بالنسبة لأغلبية التلاميذ. علاوة على أن هذه الطريقة تأخذ من التدريس ساعات غير أنه كان بالإمكان أن تجد استخداما أفضل (محادثة ضمن فوج صغير حيث بإمكان التلميذ التعبير عن آرائه، وإطلاق العنان لعواطفه الشخصية، أو إنشاء حوار متبوع بتمارين درامية)، فضلا على أننا، بالأخص، سنتخطى هذه المرحلة الثمينة من عمل التحرير الكتابي "البطيء والصبور".

يقدم التلاميذ ضمن طريقتنا تقريرا عن قراءتهم في شكل ملخصات، لماذا ملخصات؟

من الواضح أنه لا يمكن أن نطلب من الأستاذ قراءة كل هذه الكتب (ما يصل إلى العشرين في كل قسم، ومعظمها في الحقيقة دون قيمة أدبية كبيرة)، لذلك لا يمكن حتما أن نكلفه بطرح الأسئلة حول الكتب، ولذلك يبقى حل الملخص.

يقرأ التلاميذ عندنا حوالي عشر صفحات من كتبهم في ظرف أسبوعين، مع حرية مواصلة القراءة الشخصية لما فوق العدد الموصى به من الصفحات، وغني عن القول إنه يجب عليهم كذلك الأخذ بعين الاعتبار إمكانية تقسيم الكتاب إلى فصول.

سيكون العديد من زملائي محبطين من العمل الإضافي الذي يتطلبه تصحيح الملخصات، لذلك فمن المناسب إذن تقديم بعض التوضيحات: أولا لا يتعلق الأمر باختيارات كتابية؛ فكل توجيه إذن مستحيل، لذلك فبمجرد أن العمل يتم في المنزل فإنه يمكن للبعض الاستفادة من الآباء والأشقاء القادرين على مساعدتهم. وعليه نرضى بتصحيح الأخطاء الأكثر خطورة فحسب، خاصة عند التلاميذ الأكثر ضعفا. ولكن في مقابل ذلك لابد إذن من محاربة المرض المهني المتمثل في الرغبة في تصحيح كل شيء! كما أن هناك شيئا مهما جدا، إذ لابد من جعل التلاميذ يقومون بالتصحيحات بأنفسهم، على الأقل في حالة ما إذا وجدناهم قادرين على ذلك. فالمصحح -الأستاذ- يقدم لهم اقتراحات فقط: أسهم (لأخطاء الربط النحوي)، اختصارات أو أي علامات متفق عليها، مثلا: مؤ: مؤنث، غير الصفة... إلخ. فتلك هي كيفية لجعل التلميذ يلاحظ أخطاءه (التي ارتكبها بسبب الجهل بها)، وأيضا لجعله يفكر "نحويا"، فالتصحيح بالإضافة إلى ذلك فردي: نستطيع الذهاب إلى غاية الملاحظات حول الأسلوب، وحول اختيار المصطلح المناسب مع التلاميذ اللامعين،

وأما مع الضعفاء فنتمسك بأوجه القصور الأكثر إحراجا وخاصة ما يعرض منها الفهم للخطر، ومع ذلك لا يمكننا أن ننكر تماما الجهود الإضافية التي تتطلبها هذه الطريقة من المعلمين. أعتقد أنهم سيكونون على استعداد تام للقيام بذلك بعدما يعرفون مقدار ما سيتم مكافأتهم به إذا وجدوا، بعد وقت قصير، تحسنا ملحوظا في التعبير الكتابي عند كل تلميذ تقريبا، وبالموازاة سلامة أكبر في التعبير الشفهي.

هذه الطريقة، مثل أي طريقة، صحيح أنها تكون صعبة في البداية، لكن كتابة الملخصات هي فن لابد من تعلمه، ويبدو أن التلاميذ لا يتقنونه حتى في لغتهم الأم غالبا. مع ذلك فلهذا الفن فائدة لا يمكن إنكارها في الحياة. فكم مرة طلبنا فيها تلخيص فيلم، أو محاضرة شفويا وحتى كتابيا؟ لذلك يجب تعريف التلاميذ بالطريقة على أن تعد الملخصات الأولى في المدرسة بإشراف الأستاذ الذي يقدم، وهو يمر بين صفوف التلاميذ، النصائح ليست فقط ذات الطابع اللغوي وإنما تلك المتعلقة بطريقة العمل خصوصا.

ومن الواضح أيضا أن الجزء الأكثر صعوبة في الكتاب هو، في الواقع وكما نعرف، الفصول الأولى التي تعمل على تحديد المكان الذي يقع فيه الحدث، ورسم الملامح الأولى لشخصية الأبطال بواسطة كلمات يتم تكرارها مرات عديدة بعد ذلك، وهي التي يتم إدراجها عند البداية.

هذه الصعوبات الأولية تفسر لنا لماذا يعمد بعض التلاميذ إلى تغيير الكتاب بعد فترة قصيرة (على سبيل المثال بعد أول عشر صفحات). إنه من المؤسف بعض الشيء أن تكون المهمة صعبة للغاية وتحديدا في البداية، فهذا هو أحد الأسباب التي تدعو إلى العمل في المدرسة بادئ الأمر، وفي هذه الحالة ينبغي إقناع التلاميذ بأن الصعوبات ستقل بمجرد فهمهم الحدث وتعرفهم على أهم الشخصيات، وسينسون قليلا اللغة المستخدمة وسيركزون على ما يحدث ويريدون معرفة كيف ستنتهي القصة. وفي حالات أخرى يظهر سريعا أن الكتاب لا يناسب تماما التلميذ ولا أذواقه مما يوجب عليه تغييره على الفور.

هذه واحدة من مزايا الطريقة كون التلميذ سيختار هو بنفسه، وبالأخص ستكون هناك علاقة اهتمام بين التلميذ وكتابه.

هناك في أقسامنا دائما فوج من التلاميذ الذين لا ينجحون في كتابة ملخصات من دون جهد خارق تقريبا رغم كل المساعدة والنصائح الجيدة، فقراءة النص هي كل ما يمكننا أن نطالبهم به. وبإمكانهم أن يظهروا أنهم استوعبوا من خلال ملخصات يعدونها بلغتهم الأم، ففي الوقت الذي يحسن زملاؤهم تدريجيا نوعية اللغة الفرنسية لديهم لا يعير هؤلاء لذلك اهتماما يذكر وتتسع الفجوة نتيجة لذلك. نستطيع ربما، أن نطلب منهم القيام بمهام أخرى مثل ترجمة صفحة إعلانية في صحيفة فرنسية وتحرير قائمة بالمفردات المستخدمة.

إذا أشرنا إلى ما قيل أعلاه فمن الواضح أن اختيار الكتاب مهم جدا ولذا يجب عليه القيام بذلك. لقد قمنا في ثانويتنا وفي عدة مناسبات بتنظيم استطلاعات لمعرفة كيف استمتع التلاميذ بالكتب المختلفة. وانطلاقا من قاعدة هذه الاستطلاعات حررنا دليل معلومات إحصائية صغير لاستخدام التلاميذ. وسأقدم مثالا مأخوذا من الدليل الحالي:

ألبير كامو: الغريب (نفسي، فلسفي، مميزات التلاميذ)

00: صعب جدا،

0: تلميذ وجد الكتاب صعبا جدا،

07: صعب،

7: تلاميذ وجدوه صعب اللغة ...إلخ،

16: لا صعب ولا سهل،

04: سهل،

00: سهل جدا،

حكم شامل

00: سيء جدا،

0: تلميذ وجد الكتاب سيئا جدا،

02: سيء،

2: تلميذان وجداه سيئا...إلخ.

03: مقبول،

13: حسن،

08: حسن جدا،

8: أحكام إيجابية: نحو: مشوق (2)، مثير للاهتمام (7)، فعل استثنائي.

9: أحكام سلبية: نحو: ممل، رتيب، صعب المتابعة، طويل.

نخصص أحد الدروس الأولى من الموسم الدراسي لزيارة مكتبة المؤسسة، أوزع على التلاميذ دليل الاستطلاعات الخاص بالسنوات السابقة، وأشرح كيفية تفسيره، على سبيل المثال: يجب أن تكون حذرا إذا حكم على الكتاب تلميذ أو تلميذان فقط، فهناك حوالي ثلاثين نسخة من الدليل، بالإضافة إلى عرضه في المكتبة وفي كل أقسام الفرنسية مما يعني أنه متوفر دائما.

ننظر إلى التشكيلة، يتصفح التلاميذ الكتب، ويحاولون الحصول على فكرة عن صعوبة اللغة، يستعيرون بعض الكتب لأخذ القرار النهائي في المنزل. يتكفل موظفو المكتبة بجميع المشاكل الإدارية. هذه الكتب تشكل مجموعة منفصلة وعلى عكس كل الكتب الأخرى يمكن استعارتها للموسم الدراسي بأكمله.

قبل أن نستمر ينبغي، ربما، أن نقول بضع كلمات عن الكتب. لدينا حاليا حوالي خمسين عنوانا، يتوفر البعض منها في نسخة واحدة، فيما يتوفر بعضها الآخر (الأكثر شعبية) في حوالي عشرين نسخة.

هناك تقريبا عدد عناوين أكبر مرتين من عدد التلاميذ المعنيين بالطريقة وهذا حتى لا يتوقف اختيار الكتاب على ما هو متوفر أو غير متوفر من العناوين المطلوبة على الرفوف. وعلى عامل المكتبة من حين إلى آخر استبدال بعض المجلدات بأخرى جديدة بسبب التلف المادي لها، وكل عام يتم إثراء التشكيلة ببعض العناوين الجديدة (اقتراحات من الصحافة، على سبيل المثال الفرنسية في العالم). لكن إذا كان صحيحا أن عددا كبيرا من التلاميذ سيرشد في اختياره حقيقة بأحكام الكبار الواردة في الدليل، فإن قائمة الكتب المتوفرة ليست محدودة إذ بإمكان التلاميذ اقتناء الكتاب من المكتبة أو إيجاده في المنزل.

تحتوي مجموعتنا على عدد كبير من العناوين "نصوص باللغة الفرنسية السهلة" (أشات HACHETTE) حيث يشير رقم على غلافها إلى الحد الأدنى من المفردات اللازمة لفهم الكتاب. كما يوجد من سلسلة أخرى "سهلة القراءة" « Facile

lire à» الصادرة في الدول الإسكندنافية كثير من القراء يفضل الأخبار (مثل تلك التي لموباسان) بما أنها قصص ذات نهاية وطول مناسب.

من بين كبار الأسماء هناك تلك التي لكامو (الغريب: "L'étranger" ,Camus)، وسان إكسبيري (الأمير الصغير: "Le petit prince" ,Saint-Exupéry)، وسارتر (تمّت اللعبة: "Les jeux sont faits" ,Sartre) طبعة مدرسية بالسويد، مع معاجم حيث تظهر الألفاظ مرتبة ترتيب النص نفسه، وهو ما يسهل كثيرا عمل التلاميذ، وموباسان (شعبي جدا: "Très populaire" ,Maupassant) يروق لكثير من القراء، فيما يعتبره آخرون من الطراز القديم)، وهيغو (نص بالفرنسية السهلة: " ,Hugo Texte en français facile")، وجول فيرن (Jules Verne) (القصص معروفة من قبل بفضل القراءة السابقة للترجمة إلى السويدية، وهذا كذلك ما يجعل العمل أقل صعوبة نوعا ما داخله)، كريسيان دي روشفور (أطفال القرن الصغار: " Christiane de Rochefort, "Les petits enfants du siècle) وفيه يتعرف العديد من الشباب بعضهم على بعض وهم على الخصوص غير منزعجين من العامية التي يفسرها على الأرجح السياق والتكرار).

وباستثناء فترة البداية التي يمكن أن تكون أكثر أو أقل طولا بالنظر إلى مستوى القسم، تسمح طريقة الـ (قراءة - ملخص) إذن للأستاذ بالحصول على كل الدروس للأنشطة الأخرى وسيكون للتلاميذ، على سبيل المثال، واجبات للقيام بها: بمعنى نصوص مكثفة يدرسونها بالتفصيل لتحصيل المفردات. إنها في العموم نصوص إعلامية (ليست أدبية أو شبه أدبية كالقراءات التي يتعين تلخيصها) تعرفهم على الواقع الفرنسي أو الفرنكفوني يتم استغلالها طبيعيا، يعني أن الأستاذ يطرح عليهم الأسئلة بنفسه أو يجعلهم يطرحونها فيما بينهم، فتكون لديهم فرصة توظيف المفردات التي تعلموها في البيت. وبطبيعة الحال هناك تمارين في النحو كذلك على أن تحضر في ظرف أسبوعين. فيما تبرمج الاستجابات في الأسابيع التي لا يتم فيها تسليم الملخصات.

تلاحظون إذن أن كلتا الطريقتين نصوص مكثفة + تمارين، من جهة وقراءة- ملخص من جهة أخرى تستخدمان بالتناوب. والدروس التي لا تدرس لا لهذه ولا لتلك تستخدم لتمارين أخرى، خاصة في المحادثة ضمن فوج وبحضور الأساتذة (أما

الآخرون فيقومون بعمل جماعي يتم فيه تقديم النتيجة للأستاذ وينتهي الدرس)، كتابة حوارات ل (تلعب لاحقا).

ما رأي التلاميذ في طريقة (قراءة-ملخص)؟

إذا قمنا بتحقيق (استطلاع) شامل ومجهول الهوية حيث يستدعى التلاميذ للتعليق على مختلف أنشطة التدريس الفرنسية يتبين أنه في كل الأقسام (إلى هنا في كل الحالات) لا تأتي طريقة (قراءة-ملخص) على رأس الطرق (مع محادثة في فوج)، حيث هناك من التلاميذ من يذهب إلى حد القول إنها النشاط الوحيد الذي يمكن فعلا من زيادة معارفهم والسماح لهم بالتعود على صياغة جمل أطول من الكليشيهات العادية. هذا في اعتقادي رأي مبالغ فيه، وفي المقابل يصرح التلاميذ بالإجماع تقريبا بأن هذه الطريقة تتطلب عملا أكثر في المنزل. فإذا سألناهم بعد ذلك عما إذا كانوا يريدون حذفها فمنطقي جدا أن يثير هذا استجابة سلبية قوية.

في الختام، كان من المحبذ إثبات تحسن كفاءة التلاميذ اللغوية بواسطة أرقام أو عينات، وبما أن جميع التلاميذ معنيون بالطريقة فلم تكن لدينا مجموعات مرجعية. وبطبيعة الحال يمكن للأستاذ تذكر مستوى الأقسام قبل إدخاله لهذه الطريقة، فإذا تبين لنا التحسن الملحوظ في معرفة التلاميذ وكفاءتهم، وارتكزنا على الأحكام الإيجابية للغاية لهؤلاء الذين ذكرناهم، فمن الواضح أنها هنا انطباعات ذاتية تماما، ومع ذلك لا يهم، غير أنه بلا شك لديها قيمة كبيرة بالنسبة للتحضير الشخصي الذي يعد محرك كل الدراسات كما نعلم.

ومع ذلك تقع على عاتق الأساتذة ضريبة للدفع، هي تلخيص الملخصات المكتوبة في البداية، في الفرنسية المشكوك في صحتها، على كل حال، وعلى الرغم من ذلك، فلا أحد منا وقد بدأت الطريقة تستجيب، ستراوده فكرة الاستسلام. ها هي ذي، على ما يبدو لي، الحقيقة المهمة.

الإحالات والهوامش:

[1] Sverker Bengtsson. Bibliothèque de classe en Français langue étrangère (expérience dans les classes secondaires suédoises). In : Le Français dans le monde, n° 141, Lire en Français langue étrangère, Novembre-Décembre 1978, pp. 75-79.

[2] بنغتسن، سفركر، من مواليد 1931م، دكتور في الآداب (1968) ، أستاذ اللغة فرنسية واللغة الإيطالية في ثانوية لانكوبينغ، السويد، 1975م، رئيس الجمعية السويدية لأساتذة اللغات الحية LMS منذ 1975. أعماله المنشورة: الدفاع المنظم عن اللغة الفرنسية (أطروحة UPSAL1968)، مقالات عديدة بيداغوجية لاسيما في مجلة LINGUA، عضو في جمعية LMS.

مخطوط "رحلتي لزيارة قبر الوالد" للشيخ ضيف الله بن محمد بن أُبّ التواتي الجزائري
- دراسة في الأبعاد الاقتصادية للرحلة -

The Manuscript of "My Trip to the Tomb of my Father"
by Šayḫ Ẓayf Allāh bin Muḥammad bin Ubba al-Tuwwātī al-Ǧazāʾirī
- A Study on the Economic Dimensions of the Trip -

أحمد جعفري
الجامعة الإفريقية أحمد درايعية - أدرار
adjaafri@univ-adrar.edu.dz

الملخص:
يعتبر مخطوط "رحلتي لزيارة قبر الوالد" للشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبَّ التواتي الجزائري واحدا من أهم المصادر التاريخية التي أرخت لإقليم توات جنوب الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي (12هـ/18م) وما قبله، فالرحلة وإن كتبت أساسا في تتبع دقيق أخبار الشيخ سيدي محمد بن أب المزمري والد المؤلف وأحد أعلام الإقليم في عصره إلا أنها قد حملت مع ذلك العديد من الإشارات العلمية والدينية وكذا الاجتماعية والاقتصادية لساكنة الاقليم خلال تلك الفترة وما قبلها، ومن هنا جاء تفكيرنا في تسليط الضوء على الرحلة المخطوطة انطلاقا من أبعادها الاقتصادية التي صبغت حياة ساكنة الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي وما قبلهما وقبل ذلك كان لزاما علينا الوقوف بين يدي مخطوط الرحلة تقديما وتوصيفا، وبين يدي صاحبها تعريفا وتبيينا.

الكلمات المفتاحية: ضيف الله، توات، مخطوط، رحلة، الأبعاد الاجتماعية، الأبعاد الاقتصادية، محمد بن أب المزمري، قبر الوالد، زيارة.

Abstract:

The manuscript "My Trip to Visit the Tomb of my Father" by Šayḫ Ẓayf Allāh bin Muḥammad bin Ubba al-Tuwwātī al-Ǧazāʾirī is one of the most important historical sources of the history of the region of Twāt, in the South of Algeria during the twelfth century Hegira (eighteenth century in the Common Era) and before. Althoutgh the trip was written essentially in a detailed tracing of the news of Šayḫ Sidi Muḥammad bin Ubba al-Muzammiri, the father of the author, and one of the prominent figures in the region in his time, bringing many scientific, religious and socio-economic signs to the inhabitants of the region, during that period and before. This led us to think about shedding light on this trip departing from its economic dimensions which marked the life of the inhabitants of Twat during that period and before. We start by introducing the manuscript and give a biography of the author. Who is, the author, Šayḫ Ẓayf Allāh bin Muḥammad bin Ubba al-Tuwwātī, and who is Muḥammad bin Ubba al-Tuwwātī al-Ǧazāʾirī whose trip came essentially to trace his path? What are the important economic dimensions covered by the trip? What is its impact on the local people? These are few of several questions we are going to answer through the exploration of this trip, which is considered amongst the oldest and most precious documents about the history of the region of Twat.

Keywords: Ẓayf Allāh, Manuscript, Twāt, Trip, Social dimensions, Economic dimensions, Muḥammad bin Ubba al-Muzammiri, The Tomb of my Father, Visit.

مقدمة:

جاءت رحلة الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب التواتي أساسا -كما أخبرنا في مقدمته في تتبع أخبار والده الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ- أحد أهم أعلام القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي (12هـ/18م)، حيث جعل حديثه بداية ونهاية حكرا على والده في كل شاردة وواردة. وبين هذا الخبر وذاك كان المؤلف يعرج بنا إلى العديد من المحطات الاجتماعية والاقتصادية التي طبعت حياة ساكنة الإقليم خلال تلك الفترة وما قبلها، وكان لها حضورها القوي في حياة والده، أو حياته هو بنفسه، فكان يقف عند كل حادثة في كل محطة من تلك المحطات وقوف الواصف المتأمل الذي أخذ على عاتقه وصف الأحداث والتأريخ لها بأمانة ومصداقية حتى وإن تعلق الحدث به هو شخصيا أو بوالده أو بأحد أفراد أسرته.

ولما كانت الأحداث الاقتصادية من أكثر القضايا إشارة عند المؤلف في كتابه، وهي أكبر من أن نقف عندها في حدود بحث أو مقال بعينه فإننا آثرنا الوقوف عند بعضها تمثيلا ليكون نموذجا لباقي المحطات في هذا المجال. وقبل ذلك كله وجب الوقوف عند بعض المحطات التي طبعت حياة المؤلف الشيخ ضيف الله بن محمد بن أب التواتي الجزائري.

1. التعريف بالمؤلف:

ولد الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المُزّمّري - كما أخبر والده - يوم السبت السادس عشر من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف (1128هـ/1716م). وقد دعا له والده منذ ولادته بقوله "أصلحه الله وجعله من حملة القرآن"[1] وعلق سيدي ضيف الله على دعوة أبيه بقوله "فقبل الله دعاءه... ولم يكتب مثل ذلك لأحد من أولاده"[2]. ويواصل الشيخ ضيف الله التعريف بنفسه في رحلته قائلا: "وكان والدي يباهي بي أولاده كثيرا في عيشتي، وشاورني في كثير من أموره مع صغر سني... وأشركني في كثير كتب حبَّسَها"[3]. من أبناء الشيخ سيدي ضيف الله ابنه محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول محمد (ﷺ) كما قال وولد له ثلث ليل يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف (1158هـ/1745م).

كان الشيخ سيدي ضيف الله كما وصفه أحدُ قضاة[4] عصره أشعر من أبيه محمد بن أُبّ، وله العديد من القصائد الشعرية منها مرثيته في أبيه التي أشار إليها في

رحلته ولم نقف إلا على أبيات ثلاثة منها. كما أخبرتنا الرحلة عن العديد من الأخبار المتعلقة بحياته وحياة والده من جهة، وبين مختلف المسائل والفوائد العلمية التي أضْفَتْ على نص الرحلة مسحة خاصة، واستطاع المؤلف من خلالها أن ينقل للقارئ كمّا هائلا من المعلومات العلمية التي استقاها من جلساته المختلفة مع علماء وأولياء عصره الذين التقى بهم، وتناقش معهم، واستفاد منهم واستفادوا منه -كما قال- وهو ما أضفى حراكا مميزا على واقع الحركة العلمية بالإقليم.

2. آثار المؤلف ومؤلفاته:

لقد حمَلَت لنا رحلة الشيخ سيدي ضيف الله العديد من الإشارات التي تؤكد أن للرجل قلما سيَّالا كتب به في الكثير من الفنون والأغراض، ولعل ما ورد في رسالة والده الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ إليه بما حملته من انتقادات لاذعة حول استثمار ورق الكتابة من جهة، و تحسين الخط، واختيار المداد من جهة أخرى، كل ذلك يؤكد على أن الرجل كان مولعا بالكتابة؛ حيث يخاطبه والده سيدي محمد بن أُبَّ ويقول: "وأيضا رأيت أنّك في احتياج أبدا إلى الكاغيد لأني رأيتك لا تكتب إلا في الظهائر سواء كان الكاغيد عندك أم لا، مع أني بعثتُ لك شيئا منه، وبعده كتَبتَ لي في كاغيد مكتوب صغير بخط رديء، ومع ذلك لا تبالي بالقلم الذي تكتب به هل هو رقيق، أو غليظ، أو مكسور، ولا بالمداد هل هو جيد أو رديء، والحاصل أمرك في ذلك مخالف لأمر الطلبة الظرفاء. ويرحم الله من صنع شيئا فأتقنه"[5].

كان هذا بالتأكيد في بداية الطريق حين كان المؤلف سيدي ضيف الله طالبا متنقلا بدَوَاتِه بين مجالس العلماء، لكن الرجل وبعد طول مزاحمته للعلماء تضلَّع في شتى العلوم، وأصبح بحرا ومقصدا لكثير من طلبة العلم في الإقليم، ليكون بذلك شبلا للأسد سيدي محمد بن أُبَّ الذي سأله يوما الشيخ الحاج أحمد بن سيدي يحي التميموني هل استفاد منك ابنك ضيف الله؟ فأجابه بأنه استفاد منه، وما في توات خير منه[6].

ورغم كل هذه الشهادات إلا أن الذاكرة المحلية لم تَحفظ لنا الشيء الكثير من مؤلفات الشيخ سيدي ضيف الله لحد هذه الساعة، ونحن على يقين في الوصول يوما إلى ما فلت من الإنتاج الغزير للمؤلف. ولعل في وقوفنا الحالي على بعض مخطوطات الرجل بعد مباشرتنا العمل في تحقيق هذه الرحلة، ولم نكن قد سمعنا

بها، أو بعناوينها قبل هذا التاريخ إلا خير شاهد على ما نقول.

ومن جملة ما وقفنا عليه من مؤلفات الشيخ سيدي ضيف الله بن سيدي محمد بن أُبَّ نذكر:

أ. مخطوطه المسمى: "الحُصون المنيعة في أحكام الوزيعَة"[7].

ب. قصيدة شعرية[8] مطولة من اثنين وثمانين بيتا، نظمها في بيان حزنه عن عدم إدراكه لكثير من علماء السلف الصالح حيث عدد بعضا منهم وواسى نفسه بمن بقي منهم. افتتحها بقوله:

حَزِنْتُ لِفَقدِ الصَّالحِين السَّوابِق *** وَعَلَّلْتُ نَفْسِي بالبَواقِي اللَّوَاحِقِ

ولَكِن إذَا غَابُوا فَلِلْقَلبِ لَوعَةٌ *** بِتذْكَارِهِم تُطْفي شُمُوسَ الشَّوارِقِ

وختمها بقوله:

وآله والأصحاب والرسل جملة *** صلاة دواة الضحى والأصائل

ج. قصيدة شعرية[9] لامية في الموضوع السابق مع المناسبة نفسها، مطلعها:

حَزِنْتُ لِفَوت الصَّالحِين الأوائل *** وَعَزيت نَفْسِي بالبَواقِي اللَّوَاحِقِ

د. مخطوط قصيدة في جمع أذكار الفِدْيَة من النَّار[10] مطلعها:

الحمدُ لله العظيمِ البَاري مُنْجي العبيد من عذاب النّار

وختمها بقوله:

وَصَلِّ أَوَّلًا وَآخِراً عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ المَلَا

هـ. بعض النوازل والفتاوى الفقهية المختلفة التي وقفنا عليها هنا وهناك.

وإلى جانب التأليف مارس المؤلف الشيخ سيدي ضيف الله نسخ المخطوطات التي وقعت في يده ليُكَوِّن منها مكتبتَه الخاصة، وفي ذلك ينقل لنا الشيخ سيدي المغيلي بن أحمد بن عبد الرحمن الزَّجلاوي في رسالته التي بعث بها للشيخ سيدي أبي فارس محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن البلبالي، وراجعه فيها حول تشديد ميم لفظة (عَمَّرَ) بدلا من تخفيفها، وما ثبت في ذلك من نقول عن علماء عصره، وفي مقدمتهم الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبَّ الذي وصفَه الكاتب بقوله: "... فأما الأول فشهد له والده سيدي محمد بن أُبَّ أنه لم يُخَلِّف في توات مثله، فوجدت بخطه نسخة من تخميس الشاطبي لأبيات (سكن الفؤاد) إلخ"[11].

3. وفاة المؤلف:

لعل آخر ما وقفنا عليه ضمن رحلة البحث عن وفاة الشيخ سيدي ضيف الله بن سيدي محمد بن أُبَّ في آخر عهدنا به هو ما سجله بنفسه في نهاية مخطوطه "الحُصون المنيعة في أحكام الوزيعَة" وأخبرنا أنه كان حيا حتى أواخر شهر شعبان من سنة ثمان وسبعين ومائة وألف (1178هـ) حيث قال في نهاية تأليفه: "... عصمنا الله بفضله، ورزقنا العلم والعمل به، وأعاننا على القيام بحقه إنه قريب مجيب. على يد جامعه أواخر شعبان المنير عام ثامن وسبعين ومائة وألف. عبيد ربه ضيف الله بن محمد بن أب كان الله له... بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله"[12].

4. التعريف بالمخطوط:

يعتبر مخطوط رحلة الشيخ سيدي ضيف الله بن سيدي محمد بن أُبَّ المزَّمِّري لزيارة قبر والده محاولة جادة من المؤلف لرصد وتتبع مجموع أخباره وأخبار والده الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ على مدار محطَّات رحلات ثلاث قام بها المؤلف انطلاقا من مسقط رأسه وصولا إلى قبر والده، وقد كانت الرحلة الأولى من المؤلف في حياة والده الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ -كما قال- وبقي معه عشرين يوما. أما الرحلة الثانية، فقد جاءت بعد تلقيه نبأ وفاة والده، لكنها لم تكتمل، وتوقفت بعودة ابن عمّه سيدي محمد وديعَة الله الذي رجع ومعه جزء من تركة المرحوم، فهَمَّ المؤلف راجعا لبلده، ومن هناك استعد للرحلة الثالثة والكبيرة لزيارة قبر والده.

ولقد اعتمدنا في دراستنا لهذا المخطوط على نُسختَين مختلفتين، وبخط ناسخين مختلفين أيضاً، حيث جاءت النسخة (أ) من هذا المخطوط في مائة وعشر (110) صفحات من الحجم الكبير، بمعدل ثلاثة وثلاثين (33) سطرا في كل لوحة، وعشرين كلمة في كل سطر تقريبا. وقد جاءت هذه النسخة بخط مغربي دقيق جداً، ختمها المؤلف بمجموعة من الملاحق لبعض القصائد والمنظومات.

وفي هذه النسخة (أ) العديد من الإشارات التي توحي لنا بأنها منقولة من خط المؤلف، وليست نسخة المؤلف نفسها، من ذلك ما ورد في هامش متن الصفحة السابعة والتسعين ما نصه: "دلدول أولاد محمود بتَبَعٍ، كذا بخط المؤلف في الأصل،

فإنّي لم أفهمه" وهنا نرى الناسخ يستغرب من ورود بلدتين متتابعتين، وهما (دلدول وأولاد محمود) دون فاصل بينهما، رغم أن الأصل أن كلا منهما مستقل عن الآخر.

كما جاء في داخل متن النسخة (أ) إشارة توحي بأن الرحلة وإن كان الشيخ سيدي ضيف الله قد قام بها في صيف سنة 1160 هـ/1747م إلا أنه استمر في تبييضها إلى سنة 1168هـ/1755م، وذلك عند حديثه عن الشيخ أبي الأنوار، حيث جاء في هامش متن أعلى الصفحة التاسعة والستين ما نصه: "وتُوفي الشيخ سيدي أبو الأنوار يوم السبت الرابع والعشرين من هذا الشهر، وفي هذا الوقت عام 1168هـ/1755م من خط المؤلف"[13].

وقد جاءت هذه النسخة تحمل عناوين فرعية صغيرة على الحواشي، وخالية من التعليقات الهامشية إلا نادرا، ولم يخصص الناسخ للعنوان جانباً، أو صفحة خاصة، بل ورد ضمن السياق العام. كما أننا حين نقف على النص المكتوب بالهامش الأيمن من الصفحة الثامنة والتسعين (98) نجده يحمل توقيع كاتبه، وهو عبيد الله تعالى محمد الحسن، بن سعيد بن عبد الكريم، بن محمد بن البكري. وهو نفس الخط الذي كُتب به متن الرحلة في نسختها (أ)، مما يرجح أن يكون الشيخ سيدي محمد الحسن بن سعيد البكري هو ناسخ هذه النسخة. ولعل ما يؤكد ذلك أكثر هو عثورنا على هذه النسخة من الرحلة ضمن مجموع واحد يحمل مخطوطا آخر ينسب للشيخ سيدي محمد الحسن بن سعيد وهو مخطوطه المعنون بـ: "تنبيه الأُخُوة بأَخبَار بعض أَهلِ الفُتُوَّة" والمسمى أيضا: "إعلام الإخوان بأخبار بعض السادات الأخيار". وقد خصه المؤلف لتراجم العائلة البكرية، واستفاد فيه من بعض النصوص والتراجم الخاصة بالعائلة والواردة في متن رحلة الشيخ سيدي ضيف الله.

أما النسخة الثانية للمخطوط التي رمزنا لها بالرمز (ب)، فهي تقع في ثمانين صفحة من الحجم الكبير، بمعدل تسعة وعشرين (29) سطراً في كل صفحة، وثمانية عشرة (18) كلمة في كل سطر تقريبا، وجاءت هذه النسخة بخط مغربي غليظ، بعض الشيء، ويبدوا أن ناسخها -وللأسف الشديد- لم يكن يهمه كثيرا التأريخ لأهم الأحداث التي وقعت للمؤلف في بعض بلدات الإقليم، فراح يتصرف من البداية في فقرات النص بالحذف العمدي للعديد من أخبار المؤلف، وكذا أخبار والده. وقد وصل به الحد إلى حذف صفحات بكاملها، مع الإبقاء على ما ورد من

معلومات فقهية وغيرها، والربط في ما بينها بداية ونهاية. وهو ما صعَّب علينا عملية المقابلة بين النسختين أحيانا.

وقد جاءت هذه النسخة (ب) مبتورة في النسخة (أ)، واكتفى فيها الناسخ بالدخول إليها من حديث المؤلف عن الضيف وحقوق الضيافة، رغم أنه صَدَّرَها هو الآخر بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله حيث قال: "فأول ذلك الضيافة، ففي البخاري: باب إكرام الضيف، وخدمة ضيفه جائزة"[14]. وأما في الختام، فقد جاءت النسخة ناقصة من بعض صفحاتها المتعلقة أساسا بما جاء من ملاحق في النسخة (أ).

وبالنظر إلى كل هذا فقد اعتمدنا النسخة (أ) أصلا بالنظر إلى ما توفَّر فيها من شروط مقارنة بالنسخة (ب)، وقابلنا عليها النسخة (ب) لنخرج في الأخير بما نعتقد أنه النص الأقرب إلى ما كتبه المؤلف، أو أراد قوله، ومع هذا فقد اجتهدنا قدر المستطاع في رد كثير مما سقط من المخطوط في نسختيه (أ) و(ب)، وبخاصة ما تعلَّق بنقوله من المصادر والمراجع، وإلى هذا كله فقد تعسر علينا إكمال عدد غير قليل من الكلمات، والعبارات الساقطة من النسختين معا، رغم جهدنا المبذول في ذلك، واكتفينا أخيرا برسم نقاط ثلاث دلالة على السقط في أمكنته.

5. أهم الأبعاد الاقتصادية في الرّحلة:

لقد جاء العديد من الإشارات الاقتصادية في الرحلة ليعطينا صورة واضحة عن طبيعة الحياة المعيشية لساكنة الإقليم، وما كان عليه الوضع الاقتصادي عموما؛ حيث أشار المؤلف إلى أنه وعند حلوله بأي بلدة من بلدات الإقليم، فإنه يُستَقبَل بالعديد من الأطباق الشهية التي لا يُغني أحدها عن الآخر، وهي أطباق لم تكن عادية بتاتا، بل كانت مملوءة بأنواع العنب، والتمور، والحليب، والخبز المغشى بالسَّمن وما إلى ذلك. وفي كلام المؤلف الشيخ سيدي ضيف الله تأكيد لما ذهب إليه ابن خلدون في تاريخه معتبرا أن فواكه بلاد السودان كلها من أرض توات وغيرها[15].

والمؤلف في معرض حديثه عن وصف بعض البلدان التي زارها، لم يخف تعجبه من بعض مظاهر الحفاوة التي كان يستقبل بها، والتي جاءت لتعكس لنا بعضا من وجوه حياة الثراء والرفاهية التي كان عليها بعض ساكنة الإقليم ممن التقى بهم وأكرموه، كما هو الحال مع أبناء سيدي المجبري في بلدة تاسفاوت الذين قال في

وصفهم: "فأخرج لي أولاد السيد المجبري -جبر الله حالهم- فراشا تحار فيه الأعين، وأطعمونا مما لا تصفه الألسن، وأقمنا عندهم ثلاثة أيام"[16].

وغير بعيد عن بلدة تاسفاوت، فقد استَقبَل الشريف مولاي عبد الرحمن بن مولاي بوفارس صاحبَنا بحفاوة بالغة حينما زاره في بلده المنصور قادما من بلد عزّي في مرحلة العودة من الرحلة الأولى حيث يقول: "... فأصبحنا هناك بعَزّي مع أخلاط من الناس شرفاء وفلالة عندهم الخيل تباع، وإذا بالشريف الحسني مولاي عبد الرحمن بن مولاي بوفارس جاءنا راكبا على فرس، فقمنا له وسلَّمنا عليه، فلما أردنا الرحيل عزم علينا أن نُقَيِّل عنده للبركة، فسرنا لبلده، فأدخلنا دارا تشهد لبانيها بالثراء والكرم والغنى، فبسط فيها قطيفة تنوء بالعصبة أولي القوة، فمكثنا يسيرا فأرسل إلينا تمر (بَامَخْلُوف) لا تصفه الألسن، ومعه كثير لم يتغير طعمه، فأكلنا حتى شبعت البطون، ولم تشبع القلوب والعيون.... فَقِلْنا عند الشريف المذكور، وعند الزوال أرسل لنا تَسَدْبِيْت يحملها أصحابه كأنها جنازة في كساء، ونسيت كم هم فأكلنا منها أجمعون وبقيت بحالها -عَمَّرَه الله آمين- وخرجنا من بلده المنصور، وهذا اسم موافق لمسماه، وخرج معنا يشيعنا ودعونا له بخير"[17].

ونجد الأمر يتكرر مع المؤلف في بلدة وفران التي أجزل عليه أهلها العطاء الوفير مما جعله يصفها بالأحسن ضيافة خلال هذه الرحلة حيث يقول: "فوصلنا وقوف الشمس مدينة وَفْرَان -عمَّرَه الله بأهله آمين- وهو قصر كبير مشتمل على قصرين أو ثلاثة، وماؤه عذب فرات، والله ما ذقت قط ماء أحلى، كأنه خُلط بشهد أو دبس. في يوم الأربعاء الثاني من شعبان المنير، فتلقى لنا الحاج علي، وهو رجل فاضل متواضع، فَسلَّم علي وعلى أصحابنا، وفعل معه ولدنا كما يفعل الولد بالوالد، وأخذ حوائجي بيده وجعلها على كاهله، فحاولت أن أخفف عنه فأبى، فسرنا حتى دخلنا دار الأضياف، ووجدناهم فرشوا لنا قطيفة كبيرة، ووجدنا هذا المحب الفاضل حبيبنا في الله الإمام السيد مَحَمَّد عريان الراس المَلاَّيخافي، وسلّمنا عليه ورحب بنا غاية، ودعا لنا بخير، وهو من أهل المحبة القديمة، فما لبثنا أن جاءونا برطب بامخلوف عجيب، وأكرمونا غاية الإكرام - أكرمهم الله بالنعيم - وصاروا يدخلون علي أفواجا ولا يفترقون معي يسألون عن مسائل العلم والدين. وحين جئت قال لي السيد مَحَمد المذكور: لا إله إلا الله، في مثل هذا اليوم من هذا الشهر جاءنا أبوك

عام أول، ومكث عندنا ثلاثة عشر يوما. وأخبرني رجل أنه حين جاءهم الشيخ [18]- رحمه الله- أنزله السيد مَحَمَّد بداره وذبح له كبشا. وعادة أهل وفران أنهم يحضرون لنا التمر الرطب واللبن والعِنَب والغِذاء والفَلِّنَصْ[19]. فأقمنا عندهم أربعة أيام، فاليوم الأول عند الحاج علي، واليوم الثاني عند صهره الطالب محمد، وهو رجل فاضل شاب ظريف زكي، واليوم الثالث نقلنا سيدي مَحمد لداره وأكرمنا أكثر من ذلك، واليوم الرابع تعشينا عند الحاج علي، وخرجنا مع أصحابه عامدين لمدينة تيميمون، والحاصل ما أقمنا ببلد أفضل من وفران حتى تيميمون. وما قدَّموا لنا طعاما إلا وفيه السَّمْنَ واللَّحْمَ أحدُهُم لا يُغْنِي عن الآخر "[20].

وحينما نزل المؤلف في ضيافة الشيخ القاضي سيدي امحمد بن عبد الرحمن بن الجوزي في بلدته تِلُّ ضواحي مدينة تيميمون قدَّم لهم عنبا كثيرا وتمرا عجيبا كذلك وفي ذلك قال المؤلف: "فخَرجنا للرَّملِ، وبعد صلاة المغربِ، أرسلَ لنا مْشَرْبَةَ عِنَبٍ فوقَها طَبَقٌ فيه تَمرٌ عَجيب "[21].

وغير بعيد عن بلدة تِلُّ وفي بلدة ماسين استقبل الشيخ الحاج علي صاحبَنا وقدَّم له ذلك الطبق المشهور في الإقليم في فصل الصيف ألا وهو التمر والعنب، وقد قدّمه لهما بالخبز الميْدُوم، وحليب الناقة كما قال: "... وجاءني الحاج علي بقُفَّةِ فيها عنب، وخرج وجاءني صاحبُه بتمرٍ في طبق على زْلَافَة فيها خُبزٌ مأدُومٌ بِسُمْنٍ، وقُلَّةٍ فيها لبَنُ ناقَة، فأكلتُ الخبزَ لعَدمِ رغبتي في التَّمر ذلك اليوم، وأكلتُ العِنَبَ، وذُقْتُ اللَّبنَ فإذا هو لَبنُ ناقة فأعْرضْتُ عنه، ودفعتُهُ له فَرَدَّهُ، وجاءني بالماء البارد في قُلَّةٍ أخرى وبِتُّ عندَهم تلك الليلة، وأكثر علي من اللحم والسَّمنِ، وجاءني بالطعام ولد الحاج علي فهو أحلى عيشٍ ذقتُ بتِقُرَارين... فأصبحت بهذه البلد المذكورة، فلما حلَّت النافلة، أصبحوا علي بتَمر ولَبنٍ ومحَمَّصة غشاها السَّمن، فأكلتُ من ذلك ما أردت، وجاءني طالب بِبَيضٍ في زْلَافَة"[22].

أما طعام بلدة إقسطن بناحية قورارة، فهو بخضرته وطريقة تحضيره أشبه ما يكون بطعام إقليم توات وهو ما لمسه المؤلف في بيت مستضيفه الفقيه الحاج عبد الرحمن حيث يقول: "وأكرمني السيد الفقيه غاية الإكرام، وإذا طعامهم بخُضْرَته، ويُعاودُونَه كطعام توات... وجميع قُرَارَة قال لي هم يعاوِدونَ الطعامَ "[23].

ومن الإشارات الاقتصادية الواردة في الرحلة كذلك حديث المؤلف في أكثر من مناسبة عن العملة الاقتصادية التي كان يتم بها البيع والشراء داخل الإقليم خلال تلك الفترة من القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي، وهي المعروفة بالموزونة وهي -كما قلنا- وحدة نقدية من الفضة وقد تكون من الذهب الخالص كذلك، تكون في شكلها دائرية رقيقة الحجم، وهي في الفضة بثلاثة أنواع وأحجام: الربَيَّع (ويعادل نصف فراك)، والربَّال (ويعادل 02 فراك)، والدُّورُو (ويعادل 05 فراك).

وحول تعامل ساكنة الإقليم بالموزونة في مبادلاتهم الشرائية يقول المؤلف: "وُجِدَ عندي ما نصه: حدثني من أَثِقُ به أن عامَنا هذا بيع فيه الدُّهن ببلد تيميمون بثلاثة غلاليس للموزونة، ومائة... بأربع موزونات للواحد، منها موزونة للدّلَّال، وأخرى للراعي، والثالثة لربِّ الدار، والرابعة لربِّ الغنم"[24].

كما أن والد المؤلف الشيخ سيدي محمد بن أب كان قد فُتِح عليه في علم النحو -بحسب أخبار الرحلة- بعدما قَدَّمَ ما عنده من موزونات للشيخ سيدي أحمد التوجي في بلدته تسفاوت كما يقول المؤلف: "... وأما النَّحو والعروض، فلم يأخذهُما الشيخ عن أحد -رحمه الله- وإنما فتح الله له فيهما ببركة الصالحين، أما النحو، فعلى يد الولي الصالح سيد أحمد التوجي وذلك أنَّ والدي لما رحل لسجلماسة مَرَّ به في قرية تسفاوت، فطلب منه أن يقرئه أبياتا منه، فأجابه إلى ذلك، و قرأ له نحو بيتين، ثم وقف ينظر يمينا وشمالاً على عادته، فتعلَّق الشيخ بطرف ثوبه، وطلب منه أن يكمل له تلك الأبيات، وألح عليه، فاعتَرَتْهُ حالة الجذب، وقال له: اشْتَرِ مِنِّي النَّحو. فنظر فوجد في طرفه موزونَتَين فأعطاهما إياه"[25].

كما يخبرنا المؤلف في ثنايا الرحلة عن حضوره لتعامل آخر بهذه العملة، حدث ذلك حينما كان في بلدة تِلُّ في حضرة قاضيها الشيخ الجوزي، حيث تقدم رجل من القاضي، وسلمه موزونتين وفي ذلك يقول المؤلف حكاية عن الشيخ الجوزي: "... فكتَبَ ما في يده ودفَعَهُ لرَجُلٍ، ودَفَعَ له الرَّجُلُ مَوْزُونَتَيْنِ."[26].

وإضافة إلى هذا فقد حَمَلَ لنا عام الرحلة هذا الموافق لعام الستين من القرن الثاني عشر الهجري ـ كما ذكرنا ـ العديد من الأخبار المفرحة والمحزنة، وقد وثَّقَها لنا المؤلف الشيخ سيدي ضيف الله اعتمادا على ما وقع في يده من خط الشيخ علي بن محمد عبد الله التماسغتي حيث يقول: "وُجِد عندي ما نصه: حدثني من أثق به

أن عامنا هذا بيع فيه الدهن ببلد تيميمون بثلاثة غلاليس للموزونة، ومائة... بأربع موزونات للواحد، منها موزونة للدلال، وأخرى للراعي، والثالثة لرب الدار، والرابعة لرب الغنم كما وجهت فيها الغنم من ناحية بلاد تمنطيط إلى بلاد أتسابيت من كثرتها وقلة راعيها. ورجعت... من تيميمون إلى الظهرة من كثرتها، ورأينا فيها والعياذ بالله انتهاك حرمة رمضان بغير موجب وهذا كله وقع بعام ستين... عد المائة والألف، وجل ذلك ثبت معاينة عندنا وما... سمعناه سماعا فاشيا. علي بن محمد عبد الله التماسغتي"[27].

خاتمة:

في ختام هذا البحث أمكن القول إن هذه الرحلة هي بحق من أنفس وأقدم المخطوطات التي أرخت لواقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية داخل الإقليم التواتي على مدار عصور من الزمن، ولم يكتف فيها المؤلف عند حدود نقل الخبر وسرده بل تعداه أحيانا إلى إبداء رأيه وموقفه من كثير من القضايا السائدة في عصره. وهي إلى هذا قد أعطتنا صورة حية لكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية داخل الاقليم. كما وقفت عند كثير من المظاهر الاقتصادية التي شهدها الإقليم في عصر المؤلف وكان لها وقعها المباشر على حياة الساكنة.

وإضافة إلى هذا كله فقد نقلت لنا الرحلة صورة مصغرة لواقع الحياة العلمية في المنطقة وما شهدته من حراك ثقافي بين مجموع علماء المنطقة ونظرائهم من داخل الجزائر وخارجها.

وقبل كل هذا وذاك فإن الرحلة قد قدّمت لنا معلومات إضافية وشافية عن عائلة الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ الصغيرة والكبيرة، وأزاحت اللثام في ذلك عن كثير من الشكوك التي كانت تحوم حول نسبة والد المؤلف وموطنه الأصلي. كما عكست لنا ثقافة المؤلف نفسه ومدى تَشَبُّعِه بروح الثقافة العربية الإسلامية، وهو ما مكَّنَه من الرجوع إلى سور القرآن الكريم بما يزيد عن تسعين آية قرآنية ومائة حديث نبوي شريف ناهيك عن الأشعار والأمثال العربية القديمة.

الإحالات والهوامش:

[1] ضيف الله بن محمد بن أب المزمري، مخطوط رحلتي لزيارة قبر الوالد، خزانة تمنطيط، أدرار الجزائر، ص 76

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

[4] ذكر لي الأستاذ عبد الرحمن الجوزي أحد أحفاد عائلة الجوزي بتيميمون أن القاضي الجوزي المقصود هنا هو قاضي بلد تِلُّ وقورارة الشيخ الفقيه القاضي أبو زيد سيدي امحمد عبد الرحمن بن محمد الجوزي بن محمد عبد الله بن عبد الكريم، أخذ في تنلان عن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني المتوفى سنة (1152هـ). توفي الشيخ سيدي امحمد عبد الرحمن بين تاريخ 25 ربيع الثاني 1172هـ تاريخ كتابته لوصيته، وسنة 1182هـ تاريخ نسخ الناسخ لتلك الوصية وترحمه عليه في نهاية النسخة. وهو مدفون ببلد أولاد اسعيد بإقليم قورارة.

[5] ينظر: مخطوط الرحلة، ص17.

[6] ينظر: مخطوط الرحلة، ص 64.

[7] المخطوطة جاءت مؤرخة بتاريخ أواخر شعبان عام ثمان وسبعين ومائة وألف (1178هـ) هجرية، وهي محفوظة في مكتبة الطالب أحمد بن حسان ببلدة عريان الراس، شمال الولاية أدرار. وتوجد نسخ منها في خزانة الشيخ مولاي أحمد بن مولاي عبد الحاكم بن مولاي لحسن ببلدة كالي بلدية أولاد سعيد دائرة تيميمون ولاية أدرار.

[8] المخطوط محفوظ في نسخته الأصلية بمكتبة أحمد بابا بتمبكتو بجمهورية مالي وهو برقم: 615 وهو في ثلاث ورقات وخمس صفحات. وقد كتب بخط مغربي مقروء. وقد تحصلت على نسخة رقمية منه.

[9] المخطوط محفوظ في نسختين بخزانة أنزجمير بولاية أدرار.

[10] المخطوطة محفوظة في خزانة أنزجمير بولاية أدرار.

[11] مخطوط رسالة الشيخ سيدي المغيلي بن أحمد بن عبد الرحمن للشيخ سيدي أبي فارس محمد عبد العزيز البلبالي، ص 03. مخطوط محفوظ بخزانة أنزجمير بولاية أدرار.

[12] مخطوط محفوظ بخزانة الشيخ مولاي لحسن بن مولاي لحسن بن مولاي أحمد، قصر أولاد موسى شروين.

[13] مخطوط الرحلة، ص69.

[14] مخطوط الرحلة، ص1.

[15] تاريخ ابن خلدون،مج1، ج1، ص 93.

[16] مخطوط الرحلة، ص 29.

[17] مخطوط الرحلة، ص 38.

[18] المقصود بالشيخ هو والد المؤلف الشيخ سيدي محمد بن أُبَّ المزمري.

[19] هو نوع من البطيخ الأحمر(الدلاع) يمتاز بطوله وعذوبته وهو هنا باسم الجمع واحدته فلنصوة، ولم يبق له أثر حاليا في القصر وقد ظهرت أنواع أخرى بدلا منه.

[20] مخطوط الرحلة، ص 53 وما بعدها.

[21] مخطوط الرحلة، ص 87.

[22] مخطوط الرحلة، ص 88 وما بعدها.

[23] مخطوط الرحلة، ص 92.

[24] مخطوط الرحلة، ص 68.

[25] مخطوط الرحلة، ص 71.

[26] مخطوط الرحلة، ص 87.

[27] مخطوط الرحلة، ص 68.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1983.

2- البلبالي، الشيخ سيدي أبي فارس محمد عبد العزيز، مخطوط رسالة الشيخ سيدي المغيلي بن أحمد بن عبد الرحمن، مخطوط محفوظ بخزانة أنزجمير، أدرار، الجزائر.

3- جعفري، أحمد أبالصافي، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 07 هـ حتى نهاية القرن 13هـ، منشورات الحضارة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.

4- ضيف الله بن محمد بن أبّ، مخطوط رحلتي لزيارة قبر الوالد، خزانة تمنطيط، أدرار، الجزائر.